



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

مجلة ثقافية إسلامية تصدر بتونس



جواهر الإسلام

مجلة ثقافية إسلامية جامعية تصدر بتونس

مؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
المدير و رئيس التحرير الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

جواهر الإسلام

مجلة ثقافية إسلامية جامعية تصدر بتونس

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمة الله

المدير رئيس التحرير محمد صلاح الدين المستاوي

أبريل 2021 - Avril 2021

العنوان	1000 نهج جمال عبد الناصر تونس 28
الهاتف:	216.71.327.130 216.71.432.233
الفاكس:	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
البريد الإلكتروني:	الموقع الإلكتروني : الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة):
ISSN	01000021110000238106 0330 - 4957

الاشتراك للمؤسسات

بتونس: 30.000 د

بالخارج: 30 أورو

الاشتراك بتونس

للأفراد: 20.000 د

بالخارج: 20 أورو

الشمن للأفراد

بتونس: 3.500 د

بالخارج: 3.50 أورو

تم طبع وإنجاز هذا الكتاب في
الشركة التونسية للنشر وتنمية هنون الرسم



12 نهج الخبرية - 1002 تونس البليقدير
الهاتف: 71 904 380 - 71 901 933
البريد الإلكتروني: sotepagraphic@yahoo.fr



المحتوى

الافتتاحية : دور الأديان في تقوية روح التضامن الإنساني في مواجهة الجوانح والأوبئة	
7.....	يكلم رئيس التحرير.....
.....	تفسير آيات من القرآن الكريم
9.....	يكلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله.....
.....	قيم ما بعد كوفيد التضامن وروح ركاب السفينة
11.....	يكلم فضيلة العلامة عبد الله بن بيه.....
.....	أي دور للفكر الزيتونى في مواجهة تداعيات الأوبئة على الحياة العامة
20.....	يكلم فضيلات د. أبوبابا الطاهر صالح حسين.....
.....	اثر جائحة فيروس كورونا على حجوزات الطيران والفنادق وخدمات النقل
25.....	يكلم الدكتور احمد بن عبد العزيز الحداد.....
.....	نوازل العصر الواقعة في بلاد الغرب
31	يكلم الأستاذ صالح العود.....
.....	اشرمرشدة ابن تومرت في وحدة الامة
34.....	يكلم الباحث الأستاذ حمزة معاولي.....
.....	علمية الإسلام في القرآن والسنة
43.....	يكلم الأستاذ صالح حمدي.....
.....	في رياض السنة الحديث الخامس عشر في الأدب العالي
49.....	يكلم الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي.....
.....	رمضان كريم وهذا القرآن العظيم
53.....	يكلم الأستاذ صالح العود.....
.....	التدبرية والتعارف والمحوار
55.....	يكلم فضيلة الأستاذ الإمام الراحل الدكتور احمد الطيب.....
.....	مفاهيم إسلامية ضرورة انتظير أساليب اقناع الشباب وارشادهم
57.....	يكلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله.....
.....	من اعلام الزيتونة الشیخ محمد الصادق بسیسی
59.....	يكلم الشيخ محمد توفيق بودیدج.....
.....	من اعلام الزيتونة الشیخ الہادی بلحسن
61.....	يكلم الأستاذ محمد العزيز الساحلي.....
.....	من اعلام الزيتونة محمد الفاضل ابن عاشور
63.....	يكلم الشيخ محمد بن الاکھل رحمه الله.....
.....	خطبة العدد مسؤوليتنا تجاه شباب الامة (جامع البحيرة تونس)
73.....	القاها الشیخ محمد صالح الدين المستاوي
77.....	حكم استخدام لقاح كورونا المستجد كوفيد19 فتوى مجلس الامارات للافتاء الشرعي.....
.....	من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (يسالونك قل)
82	يكلم فضيلة الشيخ محمد الحبيب التقطي رحمه الله.....
.....	صفحات من ا للتاريخ الحديث للزيتونة كلية وجامعة
84.....	يكلم الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي.....
88.....	البيان الخاتمي للملتقى السابع لمنتدي تعزيز السلم قيم ما بعد كوفيد وروح ركاب السفينة
.....	جمعية أصدقاء صوم رمضان بالليل والنهار
95.....	يكلم صالح الحاجة.....

Sommaire

Islam et liberte d.expression par mustapha cherif.....	103
Introduction aux secrets du jeune rituel par abdal-wadoudgouraud.....	100
Le soufisme comme remede en temps de corona par nejmeddine al madani.....	96

الافتتاحية

دور الديار في نفوذية دولة الخضراء الإنساني في مواجهة الجوانب والأوبئة.

يصدر هذا العدد (6/5 من السنة 20) من مجلة جوهر الإسلام وال المسلمين يستقبلون شهر رمضان المبارك شهر نزول القرآن وشهر أداء عبادة الصيام التي كتبها الله على المسلمين كما كتبها على الذين من قبلهم باعتبار وحدة مصدر الرسائلات السماوية والتي هي في جوهرها ولبها واحدة كما عبر عن ذلك حديث رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلني لا اله إلا الله). و العبادات في الإسلام - ولا شك أن الأمر لا يختلف عن ذلك في الرسائلات السماوية - إنما تهدف بعد تجسيم العبودية لله من طرف الجن والانس (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وهو حق الله عليهم بعد توحيده وعدم الشرك به تهدف هذه العبادات إلى الارتفاع بمن اختاره الله ليكون خليفة له (أني جاعل في الأرض خليفة) إلى مرتبة أعلى من مرتبة الملائكة الذين (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) نظرا لأن الإنسان الذي يتركب من روح وجسد و له غرائز وشهوات ومع ذلك فإنه اذا اهتدى بهدي الله المنزل على انبياته ورسله عليهم السلام قادر على التحكم في شهواته وغرائزه وتزكية نفسه الامارة نشданا منه للصلاح في عاجل الحياة الدنيا والفالح في الآخرة واجتناب للكبيرة والخسران مصداقا لقوله جل من قائل (قد افلح من زakah وقد خاب من دساه) ولا يخفى ما للصوم من دور فعال في تحقيق الترقى بالإنسان إلى أعلى درجات الصفاء والنقاء المادي والروحي ويكفي دليلا على ذلك نسبته دون سائر اعمال الانسان الى الله كما جاء في الحديث القدسي (كل عمل ابن له الا الصوم فهو لي وانا اجزي به). والإنسانية على تنويع وتنوع اجناسها - وكذلك آرادها خالقها ان تكون - (وجعلناكم شعوبا وقبائل...) عبر تاريخها المديد لم يصلح حالها ولم تعم بالأمن والسلام والاطعام من الجوع -وهما نعمتان امن بهما الله على عباده وذكرهم بهما في كتابه - (فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف). لا يمكن للإنسانية ان تستغنى بما جاء به رسول الله عليهم السلام من هدي قويم هو وحده الذي يحقق لها على مستوى الأفراد

والمجتمعات التوازن والاعتدال، وهو الدافع القوي للمؤمنين بالله كي يجسموا قيم التعايش والتسامح والتعاون، وهي صميم البر والتقوى الذين تقويهما العبادات من صيام وصلة وغيرهما في نفوس المؤمنين ف يجعلهم يجتربون الظلم والعدوان ويسارعون الى التنافس في فعل الخير والتعاون عليه ما داموا يركبون سفينه واحدة. وقد بسط القول في ذلك العلامة الشيخ عبد الله بن بيته في الكلمة التا طيرية التي افتح بها الملتقى السابع لمنتدي تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة الذي انعقد أخيرا في ابوظبى (يجد القارئ في هذا العدد نص هذه الورقة إضافة الى البيان الختامي واحد البحوث التي قدمت في الملتقى).

وجوهر الإسلام وهي تلتقي بقراءها في هذا العدد الجديد تضع بين أيديهم فضلا عن أبوابها القاراء (من تفسير وشرح الحديث وتعريف بثلة من اعلام الزيتونة ونص خطبة واجوبة على الأسئلة الفقهية) بحوثا ودراسات تتناول أمهات القضايا المستجدة التي تشغل ليس فقط المسلمين بل الإنسانية جموعه والتي منهاجائحة الكورونا التي انعكست اثارها على كل جوانب حياة الإنسان ليس فقط الجوانب الجسمية المادية بل تجاوزتها الى مختلف جوانب الحياة الروحية والتعبدية للإنسان (و في العدد نص جواب مستفيض لمجلس الإفتاء الشرعي على الاستفتاء حول حكم استخدام لقاح كورونا (كوفيد19) عفى الله الجميع عنها).

أملين ان يجد قارئ جوهر الإسلام في قسميها (بالعربية والفرنسية) بعض ما يوافي بالمطلوب والمرغوب، هذا و من الله التوفيق والعون على تحقيق المراد وله الحمد أولا واخرا.

رئيس التحرير

نَفْسِيَرِ آيَاتٍ مِّنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ اعْوَذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنْ لَمْ يَزْدُهُ مَالُهُ وَوْلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا
(21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرْنَا أَهْلَتَكُمْ وَلَا تَذَرْنَنَا وَدًا
وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضْلَلُوا كَثِيرًا وَلَا تَزَدُ
الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) مَمَّا حَطَّيَتْهُمْ أَغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ
يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (25) سُورَةُ نُوحٍ

يتواصل في هذه الآيات الحوار اللطيف والشكوى الموجعة التي تقدم بها نوح عليه السلام إلى ربها تعالى وهو هنا في هذه الآيات يقدم النتيجة الحاصلة بعد عناء طويل وصبر أطول وبعد توخي جميع السبل للإنقاذ والانقاد فيقول (رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) وانه هنا ليؤكد حقيقة بشرية كانت منذ الأزل وما تزال قائمة إلى الان، هذه الحقيقة هي وجود قوتين عظيمتين تتصارعان بلا هدادة كل واحدة منها تريد أن يكون بيدها زمام الناس قوة الشر وانصارها كثيرون ووسائلها المادية موفورة وقوة الخير وسلامتها الأول بل والوحيد غالبا هو الایمان؛ وبين هاتين القوتين العلائقتين تجثم الجماهير البشرية الضعيفة وكثيرا ما يغلبها على نفسها وعقلها أقواء المادة وانصار الضلال اولا لأن الناس عبيد مصالحهم وثانيا لأن انصار الضلال لا يتورعون عن قول ولا عن فعل الغاية لديهم تبرر الوسيلة. إلى كل هذه المعاني يشير القرآن بأسلوبه الحكيم في جملة واحدة (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) وما اروع قوله، (ولم يزده ماله وولده إلا خسارا) فقد افاد أن الخسارة موجودة اولا وإنما وقعت الزيادة فيها فقط وادى ضمنيا أن نعمة المال والولد من حق صاحبها أن يتاثر بهما تاثيرا خيرا فیحمد المنعم ويصرف النعمة فيما خلقت له ويخرج في النهاية ممن تفضل عليه فلا يقابل احسانه بالاساءة اليه ولا بالاساءة إلى أوليائه واحبابه ومثله وتعاليمه ولكن للاسف الشديد نرى هؤلاء الكافرين بالنعمة يأتون بفنون والوان من الشر والجحود لا ياتي بهما المجرمون ولا عجب من ذلك فهم من اللؤماء بل هم على راس قائمة اللؤماء وقديما قيل:

وان انت اكرمت الكريم ملكته

إن انت اكرمت الكريم ملكته

وَهَا نَحْنُ نَلْمَحُ آثَارَ ذَلِكَ فِي بَقِيَةِ عَرْضِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَانْهِ يَمْضِي قَائِلاً عَنْهُمْ (وَمَكْرُوا مَكْرَا كَبَارًا وَقَالُوا لَا تَذَرْنَا الْهَتَّكَمْ وَلَا تَذَرْنَا وَدًا وَلَا سُوَاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ اضْلَلُوا كَثِيرًا وَلَا تَزَدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) نَعَمْ لَقَدْ اخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ وَاسْتَوَى الْضَّالُّونَ وَالْمَضْلُونُ فَاصْبَحُوا جَمِيعًا مُمْتَشِقِينَ لِسَيْفِ الْمَقْوِمةِ جَرَادَاءَ وَالسَّنَتِهِمْ لِلسُّوءِ وَالْأَفْتَرَاءِ وَالْكَيْدِ وَاتَّوْا بِأَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْمَكْرِ وَالْخَدَاعِ لِيَفْتَوُا فِي سُوَادِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَضْعُفُوا قُوَّتِهِمْ وَيَفْرُقُوا صَفَوفُهُمْ وَمَعَ كُلِّ هَذَا فَهُمْ يَتوَاصُونَ بِالثَّبَاتِ وَيَتَادُونَ بِالْإِلْحَاقِ لِلْوَثْيَةِ وَالْأَوْثَانِ (وَقَالُوا لَا تَذَرْنَا الْهَتَّكَمْ وَلَا تَذَرْنَا وَدًا وَلَا سُوَاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ اضْلَلُوا كَثِيرًا) إِنَّهَا لِحَمَلاتٍ عَنِيفَةٍ مُرْعِبَةٍ تَعْتمِدُ التَّهْرِيجَ وَالصَّخْبَ وَالْغَوَاءَ لِتَهْيَيَ الْمَتَّمَلِينَ عَنْ تَأْمِلِهِمْ وَلِتَخْوُفَ الْمُضْعَفِيَّ وَالْمُتَرَدِّدِيَّ، تُلْكَ هِيَ حَمَلاتٍ حَزَبُ الشَّيْطَانِ الَّذِي قَالَ لِهِ رَبُّهُ يَوْمَ أَنَّ اغْوَاهُ وَاضْلَلَهُ (وَاسْتَفَرَّزَ مِنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غَرْوَرًا)، (لَا تَذَرْنَا الْهَتَّكَمْ وَلَا تَذَرْنَا وَدًا وَلَا سُوَاً) إِنَّهُ لِتَعْمِيمِ يَعْقِبَهُ تَخْصِيصٌ لِيَبْدُوا الْإِهْتَمَامَ وَتَظَهَرَ الْعَنَيَّةُ، وَإِنَّهُ تَعْنِيهَا التَّوْصِيَّةُ الْأَوَّلُ غَيْرُ مَا ذَكَرَهُ التَّخْصِيصُ بَعْدَهَا؟ إِلَيْسَ إِلَهَةُ الْأَوَّلِيَّ مُنْصَرِفَةٌ إِلَى كُلِّ مَا يَفْتَنُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ وَجَاهٍ وَسَلْطَانٍ وَغَيْرَهَا مَا يَجْعَلُهَا الْوَثَيْيُونَ اِنْدَادًا يَحْبُونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ؟ إِنَّهَا لَتَعْنِيهَا بِالضَّبْطِ مَا دَامَ الْقُرْآنُ يَقُولُ فِي مَقَامِ آخَرَ (أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ اللَّهُ هُوَاهُ وَمَا هُدَى الْأَصْنَامُ الَّتِي عَبَدَتِ فِي زَمْنِ نُوحٍ وَيُقِيَّتْ تَعْبُدُ إِلَى أَنْ حَطَمَهَا إِلَاسْلَامُ مِنْ هُودٍ وَسُوَاعٍ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْهَا، لَقَدْ ذَكَرَ إِنَّهَا تَمَاثِيلُ مِنْ ذَهَبٍ اتَّخَذَتْ لِأَوْلَادِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْأَسْتِئْنَاسِ بِهَا بَعْدَ مَوْتِ أَصْحَابِهَا ثُمَّ مَا لَبِثَتْ أَنْ اصْبَحَتِ الْهَةُ تَعْبُدُتِ فِي طُوفَانٍ يَغْرِقُوهُمْ فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجْدُوا لَهُمْ مِنْ دُونَ اللَّهِ أَنْصَارًا) إِنَّهَا لِبَشَرِيَّ تَرْفَزُ إِلَى نُوحٍ الَّذِي ضَاقَ بِالْمُشْرِكِينَ ذِرْعَانًا فَهَا هُوَ رَبُّهُ يَفْاجَئُهُ بِالْبَشَرِيَّ لِيَقُولُ لَهُ، إِنَّهُمْ بِسَبِّبِ مَا تَرْدَوْا فِيهِ مِنْ ذَنْبٍ وَخَطَايَا قَدْ اغْرَقُوا فِي طُوفَانٍ يَغْمُرُهُمْ جَعْلُ مِنَ الْمَتَوْقَعِ وَاقْعَدُ لِتَوْفِرِ الْأَسْبَابِ ثُمَّ عَطْفُ عَلَيْهِ بِالْفَاءِ الَّتِي لَا تَقْتَضِي التَّعْقِيبَ وَالتَّرَاجِيَّ اِدْخَالَهُمْ لِلنَّارِ كَانَ الْأَمْرَيْنِ قَدْ حَصَلَا بِالْفَعْلِ فِي زَمْنٍ مُتَّصِلٍّ وَقَرِيبٍ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ اِبْعَادَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَحَدَّوْهُمَا الشَّوَّاسِعَ إِنَّمَا هِيَ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لَنَا فَقَطْ أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِخَالِقِ الْاَكْوَانِ وَالْزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَحَدَّوْهُمَا الشَّوَّاسِعَ فَهِيَ كَلْمَحُ الْبَصَرِ بَلْ هِيَ أَقْرَبُ (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا) نَسَأَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَبْصِرَنَا بِعَوَاقِبِ أَمْرَنَا وَانْ يَلْهُمَنَا الرَّشْدَ وَالْتَّوْفِيقَ.

فِيهِ مَا بَعْدَ كَوْفِيدِ: النَّخَامُ وَرَوْمُ دَكَابِ السَّفِينَةِ *

بقلم فضيلة العلامة عبدالله بن بيه
رئيس منتدى تعزيز السلم

يلتئم ملتقانا السابع اليوم في ظرف استثنائي وفي شكل استثنائي، تجتمع أفكارنا وتتواصل قلوبنا، وتظل الأجساد رهينة ما فرضه الظرف من التباعد. لقد كان المنتدى في دوراته الماضية يجسّد نموذجاً جديداً وفريداً للحوار وتلاقي الأفكار، ففضلاً عن المحاضرات والباحثات في الورشات، كان هنالك نوع آخر لا يقل أهمية من التواصل، حين تحضر الذوات وتلتقي الحضارات في حيز زمني ومكانى ولو لمدة محدودة، الجميع يشاركون في العيش، في الحركة، يتكلمون ويبحثون ولكن الأهم أنهم يشاهدون ويشهدون ويكتشفون في النهاية أنهم مهما تتوعد ثقافاتهم وتبين آفاقهم إخوة يشاركون في أكثر مما يتصورون.

يأتي ملتقانا هذه السنة في سياق التحديات الوجودية التي تواجه الإنسانية جماء، جراء هذا الوباء الذي غير برامج وخطط البشرية، وأعاد ترتيب أولوياتها سائل توجّهاتها القيمية.

ليسجائحة كورونا هي أول أزمة تحتاج العالم، فقد عرفت الإنسانية في تاريخها الطويل، القريب والبعيد، عدداً كبيراً من الأزمات المتوعدة الأشكال والأسباب، ولكن لهذه الأزمة فرادتها في العصر الحديث، لما امتازت به من شمول آثارها وتعدد تجلياتها في مجالات ومناحي الحياة المختلفة، إنها أزمة في صُممها أزمات.

وكل ما كان يظهر بادي الرأي مفصولاً بان على حقيقته موصولاً، فتوالىت الآثار الصحية بالاقتصادية والسياسية والنفسية والدينية والقيمية، مستويات عديدة يغذي بعضها بعضاً ويرتبط بعضها ببعض في شبكة من العلاقة في غاية التركيب والتعقيد.

إن مظاهر هذه الأزمة على تعددتها يمكن أن ننظر إليها بوصفها مجموعة من التجاذبات وجدت البشرية نفسها مطالبة بتداريرها على نحو استعجالى، فمنها:

- التجاذب بين مقتضيات حفظ النفس البشرية ومتطلبات حفظ المال: إنها معضلة الفتاح والإغلاق، والبحث عن التوازن الدقيق، فتحُ تفرضه حاجة الناس إلى معيشتهم وافتقار السوق إلى الحركة والرواج، وإلا أفلس الناس وكسرت مصانعهم ومتاجرهم، وإغلاق هو السبيل الأوحد إلى الحد من فشو الوباء في انتشار اللقاح، وقد سارت الدول في ذلك طرائق قدداً، كل بحسب سياقه ورؤيته.

* المحاضرة التأطيرية لمنتدى تعزيز السلم السابع

٠ التجاذب بين منطق البحث العلمي ومنطق السوق :

وهو مظهر من مظاهر التجاذب السابق، حيث ساءلت الأزمة طبيعة البحث العلمي من خلال التجاذب المشهود بين منطق العلم القائم على التعاون والتلاقي المعرفي ومنطق السوق المعتمد على التنافس والاحتكار. وكذلك ظهر هذا التجاذب متجلساً في غلبة منطق الربح على بعض الشركات العالمية التي سعت إلى استغلال وضعية الناس في هذه الظروف الصعبة لتكسب أرباحاً خيالية، وإدارة جزء من العالم ظهره لقيته، وتعنت جهات في التعامل بمنطق الأنانية مع ديون الدول الفقيرة التي ترزح تحت وطأتها وتعوق مسيرتها التنموية، خاصةً في ظل هذا الظرف الاستثنائي.

٠ التجاذب بين اليقين والشك والضعف والقوة :

كما جعلتنا الأزمة نستشعر في أنفسنا أن ليس جنسُ من البشرية مهمًا ارتقى ولا صنف مهما تطور بمنأى عن الطوارق أو بمفارقة من الطوارئ. وأن رحلة أهل الأرض ليست دائمًا مأمونة ولا مضمونة. وكل ذلك أدى إلى شیوع حالة من القلق وعدم اليقين وفقدان الثقة، فبعد أن كان العلم والتكنولوجيا يشعران الإنسان المعاصر بنوع من اليقين والوثوق والطمأنينة تبدى له عجزه عن التحكم في مصيره بل ولا حتى محیطه.

٠ التجاذب بين العولمة وبين الدولة الوطنية :

أثبتت هذه الأزمة أن الدولة الوطنية هي الملاذ الطبيعي والضروري لدى الأزمات، فهي وحدها القادرة على وضع الأطر المناسبة للتصدي لهذه التحديات، ولذلك أرّز الناس إلى بلدانهم واحتموا بأوطانهم، واضطاعت الدول بمسؤولياتها في وضع التدابير العمومية لحماية شعوبها من الوباء ومكافحة ما نتج عنه من الآثار والأعباء.

وفي مقابل هذا التوجه الذي ظهر، برزت كذلك ضرورة التعاون الدولي، وعجز المقاربات الفردية وقصورها، وظهرت الحاجة إلى تفعيل مؤسسات التعاون بين الدول في تبادل المعلومات، وتقاسم ثمرات البحوث ونتائج العقول، والتأسي في المعيشة، والتأزر في المصيبة.

٠ التجاذب بين منطق الحريات ومنطق الواجب :

من أوجه التجاذب التي وجدت الدول نفسها مضطورة إلى تدبيرها، التجاذب بين حرية المواطنين في الحركة والمبادرة والتعامل والتعليم وممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية وبين واجبهم نحو أنفسهم ومجتمعاتهم، فعاد منطق الواجب إلى فرض نفسه في الخطاب العام، بعد أن كان التركيز على منطق الحريات - الحقوق.



٠ التجاذب بين كلي النفس وكلى الدين:

من آثار هذه الأزمة الأساسية ما أحدثه من الناحية الدينية وعلى العلاقات الروحية، حيث شملت العبادات الفردية والجماعية وطاولت العقود والمعاملات بل تطاولت لتشمل الأفكار والمعتقدات. ولقد كان في مجلس الإمارات للافتاء الشرعي عالجنا جانبًا مهما من جوانب هذا التجاذب الناشئ عن الوضع الجديد، في مؤتمر «فقه الطوارئ» الذي انعقد بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي، وقد كان مناسبة لفت انتباه العلماء إلى ضرورة استثمار أدوات الاجتهاد ومولدات الأحكام الشرعية وإشارة الكليات لتوضيح الموقف الشرعي في عدد من القضايا العملية والعقدية باليقين على المكلفين وبث روح السكينة والطمأنينة في القلوب.

لقد علمتا هذه الأزمة دروساً وأشهدتنا حقائق منسية، فكشفت عن البصائر ما كان عليها من غشاوة البُهْنَيَّة فبانت هشاشة الجنس البشري وضعفه الملائم لكتينوته، المطبوع في فطرته، «وخلق الإنسان ضعيفاً». كما أظهرت محدودية العلم الإنساني وقصوره المعرفي في ال باعث على التواضع، «وما أتيتم من العلم إلا قليلاً».

إن الأزمة وإن كانت في مبدأها أزمةً صحيحةً إلا أنها سرعان ما استحالت أزمة في القيم، أزمة من النوع الذي يختبر أخلاقنا وقيمنا وإيماننا. إنها تختبر أخلاقنا في التعامل فيما بيننا، في بيotta ومع جيراننا، هل نصبر ونشر قيمة الصبر والتضامن بينما أم نخضع لل Yas والقنوط؟ تختبر قيمنا هل نعلى قيمة الإحسان والمحبة والإيثار مع القريب والغريب، أم ننكأ على ذواتنا ونشتبّث بمصالحنا الضيقة؟

إن هذا الاختيار ليس على مستوى الأفراد فقط وإنما على مستوى الدول أيضاً التي عليها مسؤولية مساعدة تلك الأقل شرورة وقوتها والتي لا تتوافر لديها وسائل مواجهة الجائحة المادية والصحية.

في الأزمات وفي ظل الشك والحيرة والارتياح- تكثر دعاوى التكهن، ويستطيع نجم الخراصين الذين يصفون المستقبل رجماً بالغيب، فيبشرؤن بعد سيولد من تلقاء نفسه، وفي المقابل يكثر المتباكون الذين لا ينظرون إلى ما يجري إلا من خلال الأسى والحنين، وهم المتشبّثون ببقاء ما كان على مكان والداعون إلى العودة إلى حالة أصلية متخيلة.

وبين هذا وذلك، نعتقد أن الأزمات هي فرص للمراجعات وأن هذه الجائحة التي أوقفت نبض الحياة السريع منحتنا الفرصة لاستئناف التفكير وتعيد التقييم.

فبقيمة التواضع تفتح الأذهان وتترسّح الأرواح للاكتشاف، ليس مجرد اكتشاف الدواء وهو أمر ضروري وحيوي، بل نطبع إلى عملية استكشاف أوسع تتمّس الإمكانات التي تقرّزها الأزمة، وتولد من رحم المحنّة، وهي فرص كثيرة وعلى مستويات عديدة للإصلاح والصالح.

فهي فرصة يجب اغتنامها لوقف تيار العنف المتدافع، لوضع السلاح ولو بشكل مؤقت، فجدير بالبشرية وهي تمر بهذه الأزمة أن تستجيب لدعوة العقل والدين، ونداء العالم الذي أطلقته الأمم المتحدة وأولو بقية من العقلاة، ولتشطط إلى التعاون والتعاضد، ولو من المنطلق الظريفي:

«إن المصائب يجمعن المصابين»، إن تفعيل قيمة الرحمة والتعاطف، تجعلنا قادرين من خلال ما أصاب الجميع اليوم، أن نشعر ولو بدرجة دُنيا بما تقاسمه البشرية في كل أنحاء العالم من مأساة جراء الحروب المستمرة.

وهي فرصة لبلورة رؤية جديدة تضبط التوازن بين الكليات بشكل يضمّن منظومة اقتصادية أكثر عدالة ورحمة،منظومة تتخذ الإنسان غاية فتركز على تربية الحياة وتستثمر في تعزيز السلام، عوضاً عن اقتصادات الحروب الهدامة. إنها وبشكل أهمّ مناسبة نادرة لاكتشاف أنفسنا، نحن أبناء البشر، لاكتشاف مكان الخير المطمور وقيمها الضامرة، لاستعادة روح الإنسان المنطلق نحو المطلق، المتحرر من قيود ذاته، وحدود أنايتيه، وللتخلص من المنطق المعوج لصراع الخصوصيات.

إن ذلك ليس أمراً مستحيلاً، أو حلماً طويالياً، إذا نحن استطعنا أن نستخلص الدروس ونستلهم العبر، إن ميلاد إنسان جديد لن يتجسد بين عشيّة وضحاها بل لن يسير على وترٍ واحدةً، ولكن هذا الميلاد لن يتحقق إلا يقدر ما تهيأهُ أسيادهِ اليوم، وما المستقبلي إلا ثمرة للحاضر. ففي صيرورة الواقع المستمرة، يتشكّل المستقبل من الحاضر، كما تشكّل الحاضر من الماضي، تشكّل النتيجة من مقدمتها وتشكل الفرع من أصله.

الحاضر محل صناعة المستقبل، ولكي يكون اهتمامنا بالمستقبل صادقاً ينبغي أن يتجلّى قبل في الاهتمام بالحاضر، وإلا كان مجرد تمنٌ، فكل رجاء مستقبل أفضل إذا لم يُبن على العمل في الحاضر، لا يُعد رجاء وإنما هو غرور؛ تلك حال من لم يزر الأرض ولم يذر البذور وهو ينتظر الحصاد. وليس معرفة المستقبل واستشرافه ضرباً من الرّجم بالغيب ولا نوعاً من التكهن، وإنما هي استطاق لمعطيات الحاضر، وفق قانون السببية المطرد في ظواهر الأشياء، قانون الحياة الذي لا انفصام له: كما يكون حاضرنا يكون مستقبلنا.

ومن هنا فإن ملتقاناً لهذه السنة يستشرف إمكانيات تطوير قيم كونية مشتركة أقرب إلى الإنصاف والتضامن والأخوة الإنسانية، بروح جديدة هي روح أصحاب السفينة، ولذلك اخترنا له شعار «قيم عالم ما بعد كورونا: التضامن وروح ر CABINdeck السفينة».

روح ر CABINdeck السفينة :

لقد أكدت هذه الأزمة المصير المشترك بيننا، فلم نكن في يوم من الأيام أكثر ترابطاً ولا تواصلًا منا اليوم. لقد هدمت هذه الجائحة كل نظريات الفصل أو التمييز على أساس العرق أو اللغة أو التمية. فهذه الجائحة لم

تفرق بين الأغنياء والفقراة ولا الأقوياء والضعفاء. بل عاملت الجميع بعدل، لتكشف الحقيقة الخالدة وهي ضعف الإنسان واحتياجه لأخيه الإنسان. فتجلى بوضوح ربما غير مسبوق، لدى الجميع، أننا نحن ساكنة هذا الكوكب بمثابة ركاب تلك السفينة التي ضرب بها النبي صلى الله عليه وسلم المثل في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في الجامع وأحمد والترمذى عن النعمان بن بشير رضي الله عنه:

مَثَلُ الْقَاتِلِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالوَاقِعُ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ أَسْتَهْمُوْا عَلَى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ يَقْرَبُونَ إِذَا أَسْفَلُهَا إِذَا أَسْفَلُهَا مَرُوا عَلَى مَنْ فَوْقُهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ تَرَوْهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخْذُنَا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجْوَى وَنَجْوَى جَمِيعًا

إن الأمثال النبوية من جنس ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم، وهي الألفاظ الموجزة الحاملة للمعاني الفزيرة، الحائزة من الدقة ومطابقة الحال الغاية، فلا يستوعب حمولتها الدلالية شرحاً ولا بياناً. في هذا الحديث استعارة رمزية بلاغية لحالة الإنسانية، في اتحاد مصائرها وتواشج مساراتها، وتشبيه لها بركاب السفينة الواحدة، والتي - وإن كانت ذات درجات متقدمة - إلا أنها في النهاية محكومة بمسار واحد ومحكوم عليها بمصير واحد.

وقد تجلت لأهل العصر، عصر القرية الواحدة، هذه الحقيقة، حقيقة الترابط، بأبهى صورها، فما يحدث في طرف من المعمورة تصيب آثاره من هو في طرفها الآخر، وما يقوم به بعضنا يتاثر به جميعنا، فنحن في نسق واحد مترابط، لا انفصال فيه ولا انقسام.

فعلى المستوى البيئي يعيش أبناء كل قارة آثار ما يفعله أبناء القارات الأخرى، فعلى سبيل المثال لم يقتصر أثر انفجار المحطة النووية بتشرنوبل على المنطقة التي وقع فيها، بل وجد الباحثون آثاره ومخلفاته على نطاق واسع ممتد في المكان ومستمر في الزمان. إنها بيئة واحدة، شتركت فيها جميعاً، فليست لدولة طبقتها الخاصة من الأوزون تفعل بها ما تشاء، أو هواؤها الذي تفرد به تلوثه كما تريده، بل إن الجميع سيدفعون الفاتورة البيئية بلا تمييز.

وهل من شيء أظهر في بيان هذا الترابط من كون مخلوق صغير، وفيروس يدق عن النظر مجرد، يظهر في منطقة نائية من أقصى المعمورة، ثم لا تمضي بضعة أسابيع حتى يعم أرجاء المعمورة، فما ترك بلداً إلا وأصابه منه ما أصابه، ولا ترك ريفاً ولا قرية ولا مدينة إلا ونالها من آثاره ما ناله، متقدلاً عبر السبل نفسها التي كانت البشرية قد مهدتها لسلوكها في أسفارها وتتبادل عبرها المنافع والبضائع.

وفي سياق إعادة اكتشاف هذا الترابط والوعي به، تتبّه الإنسان - المحجوب حيناً من الدهر بحجب الحضارة - إلى وجود أمم كثيرة من المخلوقات المتقدّمة، من حيوانات ونباتات، تُشاركه هذه المعمورة ويرتبط وضعُه بوضعها، في نظامٍ كليٍ متزن، لا يختل منه جزءٌ إلا سرى الخل إلى سائره.

في عصر العولمة، يكفي أن ينظر الإنسان إلى طعامه ليرى العالم وقد زُوِي بين يديه، تجبي إلية الثمرات من أقطار الدنيا المتائية، فلا يقع اضطراب في جزءٍ من العالم، إلا تبَدّلت آثاره في حين لدِي أمم أخرى. وأما الثقافة فقد اتخذت الاقتصاد رداءً وردفاً، فحيثما حلّت البضائع حلّت معها الأفكار والقيم، وهكذا تجسّدت العولمة في حضور الآخر حضوراً يبدو في ظاهره اختيارياً ولكنَّه في عمقه إجباري.

ذلك هو الترابط الذي تشير إليه صورة السفينة، اشتراك في الوضع والوضعية، وقد جاءت الجائحة الحالية لتفرض الوعي به لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيدٌ لكنَّ هذا الوعي ينبغي أن يتمُّ روحًا تبعث على الفعل، روحًا هي روح ركاب السفينة الذين يؤمنون بالمسؤولية المشتركة وبالحرية المسؤولة المرشدة وبواجب التضامن والتعاون ويتخذونها منهاجاً.

لهذه الروح مادتها التي بها قوامها وصورتها التي فيها تتجسد ولها غايتها التي إليها ترمي، فمادتها هي الإيمان بالمسؤولية المشتركة وأما صورتها فهي التضامن والتعاون، وغايتها هي الحفاظ على الكليات، المعبَّر عنها في الحديث بلازمها الشرعي وهو الحدود.

في هذه السفينة البشرية يجب أن تسود روح الفريق الواحد المتعاون، فكل يسهم في نجاح الرحلة ويؤدي دوره من موقعه وانطلاقاً من دوائر تأثيره واهتمامه، ذلك هو التوزيع الوظيفي المشار إليه في الحديث بالاستهام، والذي يقتضي التكامل والانسجام.

فلا بدّ للذين هم بأعلى السفينة، المتولين لتدبير الشأن العام، بمختلف مستوياته وتفاوت درجاته، أن يستشعروا مسؤوليتهم تجاه الذين في أسفلها، وأن يأخذوا على أيدي الذين يريدون خرق السفينة، فإن على القوى مسؤولية تجاه الضعيف، وكذلك على الغني نحو الفقير، والعالم تجاه الجاهل، وعلى أهل القيم تجاه الآخرين، وهي مسؤولية تتّساً من قيم الأخوة والكرامة الإنسانية والأمل في إمكانية العيش المشترك.

في هذه السفينة، ينبغي أن يسود مبدأ الحرية المسؤولة، التي لا تتعدى على حدود الآخرين، ولا تؤدي إلى الإخلال بالسلم أو التشغيب على النظام الكلي لركاب السفينة، فحرية كل واحد من الركاب تنتهي حيث تصير

تصرفاته ذات آثار سلبية، حينها يتدخل الجميع ليأخذوا على يديه، وليقفوا في وجه هذه الممارسة؛ تلك هي الحرية المرشدة، والمهذبة، التي تراعي وجود الآخرين، وتحترم حقوقهم. ومن الأساسى أن نلاحظ أن الذين أرادوا أن يخرقوا السفينة كانت تحدوهم نية طيبة، وإرادة إلى الخير، ولكنهم لم ينظروا في عواقب فعلهم، فلا بد من ربط الفعل بنتيجة.

إن هذا الأخذ على الأيدي أمر عامٌ لم يحد بوسيلة دون أخرى، فليس مقصوراً على الردّ، بل أبابُ مفتوحُ أمام كل الصيغ التي تحقق هذا التعاون وتضمن الإصلاح، فمنها على سبيل المثال المعاهدات الدولية اليوم التي توقعها الأمم لحماية البيئة والحدّ من انتشار أسلحة الدمار الشامل. إن ركاب هذه السفينة مختلفون ومتنوعون ولكن يجمعهم ميثاق يقوم على القناعة بأنهم لا نجاة لهم إلا بتقليفهم روح التضامن والتعاون والتكامل، وتحكيمهم قيم التراحم والمحبة والتسامح والحرية المسؤولة والحكامة الرشيدة.

ولكم أن تتصوروا المشهد كيف تكون حال ركاب السفينة إذا هم اشتغلوا بالمشاكست والمحاكمات بدل التعاون، وأطلقوا العنان لأنانياتهم، إن مصيرهم المحظوم بلا شك سيكون هو الفرق في أمواج البحر المتلاطم من حولهم. إن روح ركاب السفينة تدعونا إلى أن نوقف تلوث البيئة ونكتف عن الفساد في البر والبحر، تأمننا أن نتوقف فوراً عن الحرب، تستوجب منا أن نمتلك روح السماحة والتراحم فنحبّ لغيرنا ما نحبّ لأنفسنا، فنوزع اللقاحات للجميع بلا احتكار أو استغلال، وأن تنظر الدول الفنية الدول الفقيرة إلى حين ميسرة أو تضع عنها من ديونها التي توء بحملها.

تُهيب بنا أن نبتكر نموذجاً تموياً يوفر الرفاه والإزدهار والاستقرار للجميع، أن ننشد عالماً تكون فيه ثمرات العقول مبذولة لفائدة الجميع فلا يستأثر بها القوي أو يحتكرها الغني، عالماً تتنافس فيه الأمم في الخير، وتنسبق فيه الدول في تقديم الضيافة الإبراهيمية للمهاجرين والنازحين، ترشدنا إلى بناء مجتمعات الطمأنينة، مجتمعات يسود فيها الأمن، فلا يخاف الضعيف من القوي، ولا يرهب بطشه أو يخشى اعتداءه، مجتمعات يأمن فيها الجارُ جاره، وتستحيل فيها روح التعصب والتمذهب إلى روح التسامح والتحبّب.

إن روح ركاب السفينة تلهمنا السبيل إلى غد تسان فيه الكرامة لكل إنسان، كرامته الأصلية التي نالها البشرُ جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ومعتقداتهم بنفح الباري عز وجل من روحه في أبيهم آدم عليه السلام: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (سورة الإسراء الآية 70).

بروح ركاب السفينة نسترشد في البحث عن المأئمات والملائمات والحلول التوافقية والتسوييات الوسطية والتزاولات المتبادلة التي هي من صميم منطق العيش المشترك، وبهذه نقوم بالوساطة الالزامية في عصرنا بين مبادئ الحرية والمسؤولية، على نحو وساطة بول ريكور بين العدالة والحب أو مواءمة توما الأكويني بين العدالة والرحمة، بروح ركاب السفينة يقع تجديد القيم في النفوس وتأكيد الوعي بوحدة المصير الإنساني والدعوة إلى هبة ضمير عالمية تعيد لقيم التعاون والتضامن والترابط فاعليتها، وتقدم مفهوماً جديداً للإنسانية يتجاوز المبدأ المحايد لحقوق الإنسان المتمثل في المساواة وعدم الاتكارات بالاختلاف، ليرتقي إلى إيجابية قيم الفضيلة، التي تشعر الآخر بدفع المحبة والأخوة.

بهذه الروح المفعمة بالأمل نبشر بعالمن يكون فيه السلام شاملًا، ليس فقط بتوقيف الحروب، وإنما بحلول السلام الذي يتزلّ في القلوب. لقد كشفت الأزمة العالمية للجميع قصور المقاربـات الأنانية التي لا تقـيم وزناً للمشتراكـات، وعجزها عن مواجهة خطر لا يفرّق بين شعب وشعب، أو يتـكـبـ أرضا دون أخرى، بل يصيب الجميع، على تنوع أعراقهم وتعـدد نـحلـمـ وأـديـانـهمـ.

كـماـ أـذـكـ الأـزمـةـ جـذـوـةـ التـضـامـنـ فـرأـيـناـ وـسـمعـنـاـ بـالـكـثـيرـ مـنـ النـمـاذـجـ المـلـهمـ لأـفـرـادـ اـسـتـطـاعـواـ أـنـ يـنـظـرـواـ فـيـ هـذـهـ الـطـرـوفـ إـلـىـ مـاـ وـرـاءـ ذـوـاتـهـمـ،ـ أـنـ يـبـشـرـواـ الـخـيرـ وـيـذـلـلـواـ الـمـحـبـةـ قـيمـةـ التـضـامـنـ وـالـأـخـوـةـ الـإـنـسـانـيـةـ،ـ وـرـأـيـناـ دـوـلـاـ استـطـاعـتـ أـنـ تـسـامـيـ عنـ حـسـابـاتـ السـيـاسـةـ وـالـعـلـاقـاتـ الدـولـيـةـ لـتـرـقـىـ فـيـ اـسـتـراتـيـجيـاتـهـاـ إـلـىـ سـقـفـ الـتـعـاطـفـ وـالـتـرـابـطـ الـإـنـسـانـيـ.

إن التضامن هو الالتزام بما فيه خير الآخرين، فهو مرتبة عليا تسمى على مجرد الاعتراف إلى التعارف، وبه يتم تجاوز ضيق الذوات إلى فسحة المشترك، وينتقل من ت Sheldon الأقليات والهويات الحرجـةـ إلىـ وـحدـةـ الـأـكـثـرـةـ الجـامـعـةـ،ـ مجـتمـعـ الـإـنـسـانـيـ الكـبـرـىـ.

وـذـلـكـ ماـ تـجـلـيـ فـيـ هـذـهـ الأـزمـةـ حـيـثـ بـرـزـتـ الـحـاجـةـ إـلـىـ الـارـتـقاءـ بـالـتـضـامـنـ عـنـ الصـيـغـ الـجـوـفـاءـ وـالـمـارـسـاتـ الـهـامـشـيـةـ التـيـ اـخـتـلـتـهـ فـيـهاـ حـضـارـةـ السـوقـ،ـ ليـعـيدـ الـاـرـتـباطـ بـمـضـامـينـهـ الـقـيـمـيـةـ،ـ قـيمـ الـرـحـمـةـ وـالـغـوثـ وـمـعـانـيـ التـعاـونـ وـالـإـحـسـانـ،ـ وـهـيـ قـيمـ تـسـمـوـ فـوـقـ الـحـقـوقـ،ـ بـيـدـ أـنـهـ ضـرـورـيـةـ لـهـاـ،ـ فـهـيـ التـيـ تـسـنـدـهـاـ وـتـضـمـنـ لـهـاـ الـفـاعـلـيـةـ وـالـنـجـاعـةـ،ـ وـهـيـ الـأـرـضـيـةـ الـمـشـرـكـةـ الـمـتـنـيـةـ الـتـيـ تـقـومـ عـلـيـهـاـ.

ميثاق حلف الفضول والعقد الاجتماعي الجديد:

إن ميثاق حلف الفضول الذي أصدرناه السنة الماضية وصادقـتمـ عـلـيـهـ يـمـثـلـ التجـسيـدـ الـمـفـهـومـيـ وـالـإـجـرـائـيـ الـأـمـثلـ لـرـوـحـ السـفـينـةـ،ـ وـبـذـلـكـ يـمـكـنـ أـنـ يـشـكـلـ

مرجعية قوية لهذه الانطلاقة الجديدة. ليس ميثاقنا مجرد مبادئ نظرية، مبتوة الصلة بالواقع، وكلمات لا فاعلية لها، بل تمكّن ترجمتها وبثورته في منهج عملي وبرنامج تطبيقي، يتزلّ في المدارس تعليماً للناس، وفي المعابر تعاليم للمؤمنين، وفي ساحات الصراع وميادين النزاع، طمأنينة تحل في النفوس وأملاً يعمّر القلوب. إننا نؤمن أن القيم التي قام عليها ميثاقنا ما تزال قادرة على أن ترشد العالم وتقترب الحلول، ولا سيما في هذه المرحلة العصيبة التي تمرّ بها الإنسانية جراء أزمة كوفيد. فهو ميثاق يقوم على تشجيع مبادئ الكرامة الإنسانية والحرية والعدالة، كما يدعوه في الآن نفسه إلى مبادئ التسامح والسلم والرحمة والتضامن؛ وهو بذلك يؤسس لنموذج متوازن من التسامح المهدب والحرية المسؤولة والمواطنة الإيجابية والاقتصاد الإيجابي المتضامن، يمكن أن يكون هو نموذج العقد الاجتماعي الجديد الذي ترنو إليه البشرية وتتطلع إليه.

كما يجسد ميثاق روح ركاب السفينة في الإيمان بالمشتركات، حيث يقوم على الأرضية الصلبة التي شكلها المشتركات سواء المشترك الخاص ببيانات العائلة الإبراهيمية أو المشترك الإنساني الأشمل.

كما يرتقي الميثاق من الحق إلى الفضيلة، إذ مفهوم الحق يقتضي اختصاص طرف، أو أرجحيته، بسبب من أسباب التخصيص أو الترجيح، فالتعامل انطلاقاً من مبدأ الحقوق يقتضي الاقتصار على منح الآخر ما هو أصلاته، أو الكف عن التعدي عليه، بينما التعامل انطلاقاً من الفضائل يحتوي معنى المكارمة والإحسان فهو بذل في غير مقابل وتنازل للأخر عما ليس له بحق.

تكلّم أيّها الحضور الكريم إشاراتٍ وصُوّى ومناراتٍ على سبيل المذاكرة ودعوة لاستعادة الضمير الأخلاقي للإنسانية. لقد شكلت الحرب العالمية الثانية صدمة لضمير الإنسانية، فخرجت الإنسانية المصودمة بهول الكارثة، بصحوة ضمير أنتجت نظاماً عالمياً جديداً يرتكز على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

فهل تكون هذه الأزمة مناسبة لانطلاقة جديدة، وفرصة لميلاد إنسان جديد، برؤيه جديدة للعالم، على أساس قيم الفضيلة، يعيد بناء ذاته وعلاقاته بجنسه وبالأمم الأخرى من المخلوقات بجنبه.

إن كل تأخّر عن المبادرة إلى الفعل في الوقت المناسب يرهن مستقبل الإنسانية ويجعل الأجيال الآتية أسيرة سيرورات لن يكون بسعتها السيطرة عليها.

إن البشرية الآن في سفينة واحدة على وشك الجنوح، وأخشى ما تخشاه إن لم يتم تغليب روح ركاب السفينة، أن تقع الكارثة، فلا ينقذ البشرية حينئذ إلا سفينة كسفينة نوح عليه السلام، تحمل ثلاثة الناجية منها.

أَيْ دُورٌ لِلْفَكِرِ الْزِيَّونِيِّ فِي مُواجهَةِ تَدَاوِيَاتِ الْأَوْهَامِ عَلَى الْجَمَاهِيرِ الْعَامَّةِ؟

فضيلة أ. د. أبوبابا الطاهر صالح حسين^١
رئيس جامعة الزيتونة سابقاً، تونس.
عضو مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

أمّا بعد، فإنّ الإسلام لما أشرقت أنواره على العالم، وجد العرب في جاهليّتهم يتداوون بأساليب بدائيّة فيها الكثير من الأوهام والخرافة، حتّى إذا ما فشا فيهم الدين الجديّ، دعاهم الرسول صلّى الله عليه وسلم للتداوي، واتّخاذ أسباب البُرّ والشفاء والتحصّن بأساليب الوقاية من المرض.

وقد تداوى الرسول صلّى الله عليه وسلم بالعسل والتمر والأعشاب والحجامة، وقال عليه الصلاة والسلام: «الشفاء في ثلاث : شريبة عسل وشربطة محجم وكية نار، وأنهى أمتني عن الكي».^٢
وكان شائعاً بين أهل صناعة الطب قولهم الجامع للطب . كما يصفه ابن خلدون . : «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وأصل كل داء البردة».^٣. وقد شرح ابن خلدون الحمية بالجوع، وهو الاحتماء من الطعام، ويقول عنه هو أصل الأدوية، وفسّر البردة: بالتخمة وثقل الطعام، بسيب إدخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتمّ هضم الأول. ولهذا حذر الرسول صلّى الله عليه وسلم من النهم والشرابة في الأكل، ودعا إلى الاقتصاد وعدم الإسراف فيه فقال: «ما ملأ آدمي وعاء شرما من يطن، حسبك يا ابن آدم لقيمات يُقمن صلبك فإن كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس».^٤.

١ الرئيس الشرفي لمركز الزيتونة العالمي للسلام وحوار الحضارات.

٢ صحيح البخاري . الطب . باب الشفاء في ثلاث : 10/143 (5680).

٣ المقدمة : 739 (وهذا القول لا يصحّ رفعه إلى النبي صلّى الله عليه وسلم).

٤ سنن الترمذى : الزهد . ما جاء في كراهيّة كثرة الأكل : 490 (2380) ط 1382 هـ / 1962 م

(مصطفى البابى الحلبي . القاهرة) . سنن ابن ماجه: الأطعمة . الاقتصاد في الأكل: 2/1111 (3349) . سنن النسائي الكبير: آداب الأكل . ذكر القدر الذي يستحب لالأكل : 177 / 4 (6769) ط 1411 هـ - 1991م . دار الكتب العلمية . بيروت . مسند أحمد: 422 / 26 (17186) مؤسسة الرسالة . ط 1429 هـ - 2008م .

بِحُورِ الْإِسْلَامِ

وإلى جانب هذا التوفّي حتّى النبّي صلى الله عليه وسلم المسلمين على التداوي فقال:

«تداووا ولا تداووا بحرام»⁵. وقال: «تداووا فإنّ الله لم ينزل داء إلا وقد أنزل له شفاء إلا السّام الموت والهَرَم الشّيخوخة والطّعن في السن»⁶. حتّى إذا ما انتشر الإسلام واستقرّ دولته من حدود الصين شرقاً إلى جبال البيبريني غرباً، طور المسلمون العلوم الطبيعية والرياضية والهندسية والطبية.. واستفادوا من تجارب الأمم السابقة فترجموا كلّ ما وقع بين أيديهم من كتب الطب الإغريقي والروماني والهندي... كما تعلموا من خبرة أطباء الهند والروم وغيرهم، ثم أضافوا وابتكرّوا واكتشفوا وطوروا، حتّى أصبحت بلاد الإسلام مقصى ملوك أوروبا للتداوي والعلاج في مشافيها، ومقصد الطلاب الأوروبيين للتعلم والنهل من معارف المسلمين المتقدمة.

ولم يقتصر إيداع المسلمين على علاج الأمراض والأدواء، وإنما تجاوزه إلى تأسيس المنهج التجريبي، والاختبار والتجربة في مختبرات راقية، كما استبطوا مرافق العلاج ذات البعد الإنساني، وصنعوا أدوات الجراحة والتطبيب، وبرز عدد كبير من الأطباء المسلمين في تخصصات مختلفة مثل: أبي بكر الرازى (249 - 864 هـ / 923 م) صاحب «الحاوى» أكبر موسوعة طبّية عربية في العصر القديم.

وعليّ بن عيسى الكحال (ت 429 هـ / 1038 م) مصنف «تذكرة الكحالين في تشريح العين وأمراضها».

وأبي القاسم الزهراوى (ت 403 هـ / 1012 م)، مخترع أشهر أدوات الجراحة وصاحب الموسوعة الطبيعية الشهيرة «التصريف لمن عجز عن التأليف»، التي ظلت عمدة الجراحة في أوروبا حتى القرن 16.

وأبي علي ابن سينا (ت 428 هـ / 1037 م) الطبيب الفيلسوف الذي يُعدُّ أول من اكتشف الجراثيم والكائنات الحية الدقيقة (علم الطفيليّات) والذي ذكر أنها تتسبّب في بعض الأمراض الفتاكـة، وهو ما أكدـه الهولندي أنطونـي فان ليفـوـتهـوك (1623 - 1723 م) بعد قرابة 700 سنة، في القرن 18 مـ. حيث استطاع بمجـهرـه الـبدـائـيـ الذي اخـترـعـهـ من عـدـسـاتـ مـكـبـرـةـ لأـكـثـرـ مـائـيـ مـرـّـةـ،ـ آـنـ يـكـتـشـفـ وـجـودـ كـائـنـاتـ دـقـيقـةـ فـيـ المـاءـ.

ولعلماء المسلمين الريادة في مقاومة الأوئـةـ،ـ وفرضـ الحـجـرـ الصـحيـ وـعـزـلـ المـرضـىـ عنـ الـاصـحـاءـ:

فابن سينا يصف الطاعون بالموت الأسود، ويرى أنّ الطفيليّات والجراثيم الدقيقة التي توجد في الماء والهواء والكائنات الحية، بأعداد هائلة ولا ترى

5 - سنن أبي داود: الطب . باب في الأدوية المكرورة: 7/4 (3874) . المكتبة الإسلامية .
إسطنبول - تركيا .

6 - صحيح ابن حبان: (6064).

بالعين المجردة، وتلتصق باليدين، والوجه والشعر والملابس والأدوات المختلفة، لها دورٌ كبيرٌ في انتشار الوباء وانقاله من شخص إلى آخر. ونصح بالحجر الصحي وعزل الناس مدة 40 يوماً، إذ ثبت لديه « بالتجربة، والاستقراء، والحسن، والمشاهدة، والإخبار . وهي مجموع طرق العلم ووسائله . أنَّ من يُخالف المريض يُهلك ، ومن يُعزله ويُبعد عنه ينجو ويسلم ». وهو نهج استمدَّه من توجيهه الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُورِدُ مُصَحٍّ عَلَى مُمْرِضٍ »⁷ . ومن قوله : « فَرَّ مِنَ الْجَنُومَ فِرَارًا مِنَ الْأَسْدِ »⁸ .

ومن إعجازه عليه الصلاة والسلام أنه حذر المسلمين من الوباء والطاعون قبل وقوعه في بلاد الإسلام، ودعاهم إلى الحجر الصحي فقال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ». حتَّى إذا ما خرج عمر رضي الله عنه، إلى الشام (سنة 18هـ) أخبروه أنَّ الوباء وقع بأرض الشام، فتوقف . إذ لم يبلغه حديث الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ ... »، فاستشار من كان معه من المهاجرين الأول، ثمَّ الاتصال، ثمَّ مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، واستمع لرأيهم ... وقرر العودة إلى المدينة، ف جاء عبد الرحمن بن عوف . وكان متغيِّباً . فأخبرهم أنه سمع رسول الله يقول : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا ... » الحديث الآنف، فحمد الله عمر حيث وافق ما اختاره حديث الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ انصرف .

وعمر الفاروق المُحَدَّثُ لم يكتف بهذا الإجراء الحازم، وإنما حاول إنقاذ المafافين وكتب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح : « سلام عليكم، أما بعد، فإنك أنزَلتَ النَّاسَ أَرْضًا غَمَقَةً فَأَرْفَعُهُمْ إِلَى أَرْضِ نَزَهَةٍ »¹¹ .

ولم يتمكن أبو عبيدة من تفويذ الأمر، حيث عاجله الموت بالطاعون فاستشهد، وأنجزه خليفة عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فخرج بالنَّاسِ إلى الجبال، وقد خطب فيهم : « أيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجْعَ إِذَا وَقَعَ إِنَّمَا يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ، فَتَحْصَنُوا مِنْهُ فِي الْجَبَالِ ». وهو ما طبقه كذلك سليل المُوَحَّدين السلطان الحفصي الثامن عشر أبو عمرو عثمان (838).

7 - صحيح مسلم : السلام . باب لا عدو ولا طيرة : 4/1743 (2221). - صحيح ابن حبان : (6115).

8 - صحيح البخاري : الطب . باب الجدام : 10/167 (5707) - سنن أحمد : 15/449 (9722).

9 - البخاري : الطب . باب ما يُذكر في الطاعون : 10/189 (5729).

10 - رطبة قريبة من المياه والنزوؤ، والغمق: فساد الرائحة وخمومها وعفونتها من كثرة الأنداء فيحصل منها الوباء. (النهاية في غريب الحديث والأثر: 3/388).

11 - طيبة الهواء، نقية فتكون بعيدة عن الوباء.

ـ 1705). بعد أكثر من ثمانية قرون، حين اجتاح تونس الوباء الجارف سنة 1857هـ، فانتقل فراراً من العاصمة وهوئها الوبائي، إلى سُكّنٍ «باردو» الذي كان في ذلك العصر ريفاً نقى الهواء طيّبه ومنتزهاً يُلْجأ إليه للنقاوة وللراحة بعد التعب، قبل أن يتحول مقرّاً للسلطة وللملك في أوائل العهد الحسيني (ـ 1957).

وإن الفكر الزيتوني في مواجهة تداعيات الأوبئة على الحياة العامة إنما يستمدّ نهجه وإرشاده من كتاب الله وسنة رسوله وعمل الصحابة والتابعين: فيطلب المسلم وجوباً بالحفظ على حياته المادية والروحية، وحياة أهله ومواطنيه، استجابةً لقوله تعالى: «وَلَا تُقْرِبُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» البقرة، 195، وقوله: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» النساء، 29، وهذا يتحقق بالكثير من وسائل التحرّز وأسباب المناعة والوقاية، وفي مقدمتها النظافة والطهارة، العامل الأخطر في ضمان السلامة، فالوضع خمس مرات للصلوة، وأداء الوضوء والغسل بالطريقة المثلثة بتطبيق فرائضهما، وسننها، ومستحبّاتهما، وعمل سنن الفطرة من المضمضة والاستشاق والإستثار، والسوالك، وتقليم الأظافر، وغسل البراجم¹²، والاستجاء بالماء.. كل هذا يضمن للمسلم نظافته. كما أن الإسلام يطالب المسلم بالالتزام سبل الوقاية التي تحدّدها السلطات الصحيّة من لبس الكمامات ومراعاة التباعد المطلوب.. وبوجوب التقيد بكل التعليمات التي يصدرها أهل الذكر من علماء وأطباء وسلطة حاكمة عملاً بالتوجيه القرآني: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَأَيْمَانِ الْأَخْرَى ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» النساء، 59.

والإسلام يطالب كذلكـ وبالحاجـ . حُكَمَّ الْمُسْلِمِينَ بوجوب إعداد ما يستطيعون من أسباب نجاة المسلمين وسلامتهم من هذه الجوانح والأوبئة، بتصنيع الأدوية الصحيّة الضروريّة، واللقاحات الآمنة المطلوبة، وألا يتركوا شعوبهم تتکفف الدواء واللقاحات من حكومات لها مصالحها الماديّة الجشيّعة التي كثيراً ما تتضارب مع مصالح الشعوب الإسلاميّة، ولها أهدافها الإيديولوجية، التي كثيراً ما تقاوئ عقيدة الأمة، بل وقد يشوّها التأmer عليها وتبين الشرّ لها.. وحتى لا يدعوا المخاوف تغزو النفوس من تلك اللقاحات والتطعيمات التي تتوجهها مخابر الدول العظمى، والتي تحوم حولها شبّه وشكوك تولى بسط مخاطرها المتوقعة الكثير من الأطباء والصيادلة والعلماء غربيين ومسلمينـ . وبعد أن تستوي في اتخاذ أسباب الوقاية والسلامة، وسُلُّ التوكل نتوجّه نحن المسلمين إلى الله بالضراعة والدعاء: «وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» غافر، 60، «وَإِذَا سَأَلْتَ عَبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

12ـ وهي العقد التي في ظهور الأصابع، يجتمع فيها الوسخـ الواحدة بترجمة بالضمـ النهاية في غريب الحديث والأثر: 1/113.

بِوْهُرُ الْإِسْلَام

قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ «البقرة» 186. وقد وعدنا الله بالإجابة والاستجابة للذين يتوجهون إليه صادقين مُخبتين إذا ما سُدّت في وجوههم السبل وضاقت عليهم الأرض بما رحبّت:

«أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ» النمل 62.

فالزريونة بما تشره في ریوع الوطن من علم، وتدعوا إليه من قيم، وتزرعه من هداية وأخلاق، وبما تعلمه الناس من خير، وتدفعه عن الدين من شبه وجهل وجهالة، تبقى صمام أمان للشعب التونسي خاصة وشعوب الغرب الإسلامي، والشعوب الإسلامية عامةً، تحفظ هويته العربية الإسلامية المتميزة، وتقيم دينه، وتدعى شرعه وتذبذب عنه الغارات التغريبية والتخربيّة الظالمة، وتحافظ على ثوابته وانتماهه بإبقاء جذوة الإيمان حيّة متجددة، في نفوس أبناء الوطن جميعاً.

«رَبَّنَا لَا تَؤَاخِذنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مَنْ قَبْلَنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مُوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» البقرة 286.

تونس. الأحد 12 جمادى الأولى 1442هـ / 27 ديسمبر 2020م

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

ليت المسلمين يستصحبون ما يكونون عليه في شهر الصيام
قال أحد رجالات الغرب : (لو أن ما نشاهده عند المسلمين في شهر الصيام يصحبهم في بقية أشهر السنة ما بقي في العالم من يقوى على معاداتهم أو الوقوف في وجوههم)

أثر جائحة فيروس كورونا على حجوزات الطيران والفنادق وخدمات النقل والشحن والعلمه المعاصر

بقلم الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحداد
كبير مفتين مدير إدارة الإفتاء
عضو مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فتبية للدعوة الكريمة من مولانا الشيخ عبد الله بن بيه رئيس منتدى تعزيز السلم رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي للمشاركة في المؤتمر السابع لمنتدي تعزيز لسلم في المجتمعات المسلمة بورقة عن فقه الطوارئ حكم وأحكام .. أقدم بين يدي المؤتمرين ورقة مختصرة عن أثر جائحة فيروس كورونا على حجوزات الطيران والفنادق وخدمات النقل والشحن والتعليم الخاص؛ لما لهذه العقود من أثر مباشر على حياة الناس، وأخذها حيزاً كبيراً من أشغال المحاكم المدنية والاستشارات القانونية، فكان لا بد من النظر إليها من الوجهة الشرعية حتى تبني عليها الأحكام المدنية، فإن واجب العلماء البيان عند مقتضى الحاجة، وواجب التشريعات القضائية والقانونية أن تكون طبق ما اقتضاه الشرع الشريف وما نصت عليه دساتير الدول الإسلامية من كون الإسلام هو المصدر التشريعي الوحيد لنظام الحكم، أو المصدر الأساس في التشريع.

وتلبية لهذه الرغبة الكريمة حررت صفحات قليلة في هذا المحور بحسب ما يسمح به الوقت الضيق والأعمال المتزاحمة، فأقول وبالله التوفيق: إن الجائحة العامة لفيروس كوفيد 19 المعروف اختصاراً بـ«كورونا» التي اجتاحت العالم كله، انطلاقاً من مدينة ووهان الصينية شرقاً، حتى وصلت أقصى الغرب وعمق البحار في زمن قياسي، ابتداءً من ديسمبر / كانون الأول 2019 وقد صنفته منظمة الصحة العالمية في 11 مارس 2020 (جائحة) فأثرت على كثير من التعاقدات الخدمية، حيث توقف تطبيق العقود بين الشركات المقدمة للخدمة والمستفيدن، من شركات طيران وخدمات النقل والشحن وفنادق ومؤسسات تعليمية، وغيرها.

وبالنظر الشرعي والقانوني لهذه العقود وما ترتب عليها من استحقاقات، فإنه يمكن ردتها إلى ست صور مختلفة:

الأولى: ما كان حجزاً مبدئياً كما يجري في الحجوزات الأولية للطيران والفنادق

الثانية: ما صحبها تقديم دفعه من قيمة العقد

الثالثة: ما كان قد تم فيها التعاقد ودفع المبلغ كاملاً

الرابعة: ما كان قد استخدم جزء من العقد كأحد خطوط الرحلة

الخامسة: ما تمت الاستفادة فيه من العقد ولم يتم دفع قيمة العقد أو بعضه
ال السادسة: ما إذا كانت مدة العقد مفتوحة، ولم يشرع في الاستفادة منه،
 ولم ينتهِ وقته.

ولكل صورة حكم يخصها:

أما لأولى وهي ما كان حجزاً مبدئياً؛ فإن الأمر فيه سهل واضح، حيث لم يعد كونه وعدا غير ملزم للشركة ولا للمستفيد، فإن لكل واحد إلغاوه في الحالات العاديّة، ففي الظروف القاهرة - الاستثنائية - من باب أولى، وليس ذلك من خلف الوعود الذي ورد ذمه على لسان الشارع، بقوله صلى الله عليه وسلم:

«آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإن هذا الخلف لم يكن من نوياً أساساً، وإنما طرأ لعارض، وفي هذا يقول الإمام الغزالى رحمه الله:

«وخلف الوعيد لا يقدر إلا إذا كان العزم عليه مقارناً للوعيد، أما إن كان عازماً ثم عرض له مانع أو بدا له رأي فهذا لم يوجد منه صورة النفاق، فخلف الوعيد إن كان مقصوداً حال الوعيد أثم فاعله، والا فإن كان بلا عنده كره له ذلك، أو بعذر فلا كراهة». أهـ^١.

وهذا في الأمر العادي فكيف بأمر استثنائي قاهر! ولا خلاف في هذه الصورة فيما أرى.

أما الصورة الثانية: وهي ما صبّها تقديم دفعة من قيمة العقد؛ فإنها تتزل منزلاً العربون الذي ذهب جمهور أهل العلم - الحنفية والمالكية والشافعية - إلى وجوب رده لصاحبته عند ما يفسخ العقد اختياراً، لنهيه صلى الله عليه وأله وسلم عن بيع العربون؛ فقد روى مالك وأصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهى عن بيع العربان» والنهي يقتضي حرمة أخذ العربون؛ لأن المتعامل لم يستفد شيئاً من العقد، فبم يستحق البائع للعين أو الخدمة مال أخيه، وهو لا يحل إلا بطبيب نفس وتراض، وهذا أكل لأموال الناس بالباطل، الذي نهى الله تعالى عنه.

وذهب السادة الحنابلة إلى أن للبائع أن يأخذ العربون إذا أخلف المشتري إن كان قد شرط عليه ذلك، لما روى عن نافع بن الحارث، أنه اشتري لعمير دار السجن من صفوان بن أمية، وشرط له إن رضي عمر، أي فقد تم البيع، وإلا فله كذا وكذا، قال الأثرم: قلت لأحمد: تذهب إليه؟ قال: أي شيء؟ أقول؟ هذا عمر! رضي الله عنه^٢ ولأن صح هذا عن أحمد مذهبـاً - كما هو المعمول به الآن في سوق العمل - فإن محله عند اختياره، بأن يفسخ

1- مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايب للعلامة الشيخ ولی الدین أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطیب العمري التبریزی (128 / 1)

المعامل العقد اختياراً من غير ضرورة ملجه، أما في هذه المسألة التي تعتبر جائحة عالمية، فإن الإمام أحمد لا يخالف فيها على ما سيأتي في الصورة الثالثة - إن شاء الله تعالى - .

الصورة الثالثة: وهي ما إذا كان قد تم فيه التعاقد ودفع المبلغ كاملاً ولم يستند من العقد كما يكون في شراء تذاكر السفر بما يسمى بالحجز المؤكّد؛ فإنه ينظر في هذه الصورة لسبب عدم الاستفادة من العقد؛ فإن كان اختيارياً من المشتري فإن الثمن عندئذ يكون من حق تقديم الخدمة، وليس لمشتريها شيء منه؛ لأن البائع قد مكّنه من الانتفاع ولم يبع محل المنفعة لغيره، وكان على المشتري أن يباشر الانتفاع أو يفسخ العقد في فترة السماح إن كان هناك شرط أو نظام يسمح بالفسخ، فلما لم يفعل كان مفترطاً في حقه، فليس له الرجوع؛ تخريجاً على من أجر داره أو سيارته لمن ينتفع بها فلم ينتفع، فإن الموجر يستحق الأجرة كاملة³

أما إذا لم يكن له خيار في عدم الاستيفاء كجائحة فيروس كورونا، التي توقفت فيه حركة السفر وتعطلت المرافق العامة من مدارس وفنادق ونحوها؛ فأصبحت في العرف الدولي كارثة عالمية؛ فإنه ينظر إليها شرعاً بنظر الجائحة العامة التي وضع لها الشّرع قاعدة وضع الجوائج، فقد روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بوضع الجوائج»⁴ وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لو بعث من أخيك ثمراً، فأصابته جائحة، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً، بم تأخذ مال أخيك بغير حق»⁵

ولأهل العلم في وضع جوائح الشمار تفصيل بين أن يبيع بعد بدو الصلاح أو قبله، وهل الأمر للندب أو للإيجاب، في خلاف يطول ذكره⁶ إلا أن محل الخلاف فيما إذا وقعت الجائحة بعد بدو الصلاح وبقبض المشتري الثمر، أما إذا كانت قبل بدو الصلاح فإنها تكون من ضمان البائع، ولا يتحمل المشتري شيئاً كما نص على ذلك الشافعية حيث قالوا: «إن (تلفت

3- الموسوعة الفقهية الكويتية 1/286 عازياً ذلك لكتب المذاهب الثلاثة الحنفية والمالكية والحنابلة

4- صحيح مسلم - كتاب المساقاة باب وضع الجوائج - حديث : 2992

5- صحيح مسلم - كتاب المساقاة باب وضع الجوائج - حديث : 2988

6- ينظر شرح الإمام النووي على مسلم 10/2016 وفتح الباري على صحيح البخاري للحافظ ابن حجر 399/4 ولخص لحافظ الخلاف بقوله: واستدل بهذا على وضع الجوائح في الثمر يشتري بعد بدو صلاحه ثم تصيبه جائحة فقال مالك يضع عنه الثالث وقال أحمد وأبو عبيد يضع الجميع وقال الشافعية والليث والковفيون لا يرجع على البائع بشيء وقالوا إنما ورد وضع الجائحة فيما إذا بيعت الثمرة قبل بدو صلاحها بغير شرط القطع فيحمل مطلق الحديث في رواية جابر على ما قيد به في حديث أنس والله أعلم

**كُلُّهَا (بِجَائِحَةِ كَحْرَ وَبَرْدٍ وَحَرِيقٍ) قَبْلَ التَّخْلِيَةِ فَهِيَ مِنْ ضَمَانِ الْبَائِعِ
فَيَنْسَخُ الْبَيْعُ⁷**

وَمِسَأْلَتَنَا مِنْ هَذَا النَّوْعِ؛ فَإِنْ مُشْتَرِيَ الْخَدْمَةِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ قِبْضِهَا وَلَمْ تَسْلَمْ لَهُ، حِيثُ وَقَعَتِ الْجَائِحَةُ فَتَوقَّفَتِ الْمَطَارَاتُ وَالْقَطَارَاتُ وَنَحْوُهَا عَنِ الْعَمَلِ، فَلَمْ يَبَاشِرْ السَّفَرَ أَوِ الْاسْتِفَادَةَ مِنِ الْخَدْمَةِ بَشَيْءٍ، فَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَرْجِعْ بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ ثَمَنِ الْخَدْمَةِ كَامِلاً غَيْرَ مُنْقُوصٍ، وَإِلَّا كَانَ أَكْلًا لِمَالِهِ بِالْبَاطِلِ.

وَهَذَا مَا اقْتَضَتْهُ الْقَوَانِينِ الْعَالَمِيَّةِ وَطَبِيقَتْهُ طِيرَانُ الْإِمَارَاتِ وَغَيْرُهَا، فَقَدْ أَعْلَمَتْ شَرْكَةُ طِيرَانُ الْإِمَارَاتِ بِتَارِيخِ 27 إِبْرِيلِ 2020 عَنْ تَقْيِيَّةِ 500 أَلْفَ طَلْبِ استِرْدَادِ تَذَكِّرٍ، وَخَيْرَتِ الْمُتَعَامِلِينَ بَيْنِ اسْتِرْدَادِ مَا قَدَّمُوهُ، فَإِنْ رَغَبُوا فِي ذَلِكَ فَمَا عَلَيْهِمْ إِلَّا تَقْدِيمِ طَلْبِ استِرْدَادِ الْأَمْوَالِ إِذَا لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنِ السَّفَرِ لَاحِقاً، وَلَنْ يَفْرُضْ عَلَيْهِمْ أَيِّ غَرَامَاتِ اسْتِرْدَادِ.

أَوِ إِصْدَارِ قَسَائِمِ سَفَرٍ جَدِيدَةٍ أَجْلَةً كَمَا يَرْغَبُونَ، وَأَنْ لَهُمُ الاحْفَاظُ بِتَذَكِّرِهِمُ الْحَالِيَّةَ حَتَّى 24 شَهْرًا، وَإِعادَةِ الْحِجْزِ عَنْدَمَا يَقْرَرُونَ السَّفَرَ لَاحِقاً، وَوَسَعَتْ هَذَا الْخِيَارُ لِيُشَمِّلَ أَيِّ تَذَكِّرٍ تَشْتَرِيُّوهُ قَبْلَ أَوْ بِحَلْولِ 30 يُونِيُّو 2020، لِلسَّفَرِ حَتَّى 30 نُوفُمبرِ 2020⁸

وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ مِنَ الشَّرْكَةِ الَّتِي قَالَتْ: إِنَّهَا تَعْتَبِرُ ذَلِكَ وَاجِباً وَتَتَحَمِّلُ الْمَسْؤُلِيَّةَ نَحْوَ مُتَعَامِلِيهَا، وَأَكَدَتْ لِلْمُتَعَامِلِينَ مَعَهَا وَشَرِكَائِهَا الْتَّجَارِيَّينَ أَنَّهَا مُلتَزِمَةٌ بِتَلْبِيةِ طَلَبَاتِهِمْ، وَأَنْ تَبْذِلْ قَصَارِيَّ جَهْدَهَا لِتَسْرِيعِ إِعادَةِ أَمْوَالِهِمْ

وَأَمَّا الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ وَهِيَ مَا إِذَا كَانَ قَدْ اسْتَخَدَمَ جُزْءاً مِنِ الْعَدْلِ كَأَحَدِ خَطْوَطِ الرَّحْلَةِ... فَإِنْ هَذِهِ الصُّورَةُ يَجْرِي عَلَيْهَا حُكْمُ تَقْرِيقِ الصَّفَقَةِ بِتَعْدِدِ الْمَبْيَعِ؛ ذَلِكَ أَنْ بَيْعَ تَذَكِّرِ الطِّيرَانِ وَنَحْوُهَا فِي مَثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ يَتَعْدِدُ فِيهَا الْمَبْيَعُ، فَإِذَا اشْتَرَى الإِنْسَانُ تَذَكِّرَ ذَهَاباً وَإِيَّاهَا؛ كَانَ لِذَهَابِ سَعْرِ الْلِّيَابِ سَعْرٌ آخَرُ، وَكَذَا إِذَا تَعْدَدَتْ مَحَطَّاتُ النَّزُولِ فَإِنْ لَكُلَّ مَحَطَّةٍ نَزُولٌ سَعْرٌ، وَإِنْ كَانَ سَعْرُ مَجْمُوعِ الْخَطْوَطِ أَقْلَى مِمَّا لَوْ اشْتَرَى تَذَكِّرَةً لِكُلِّ اِتِّجَاهِ، فَإِنَّ الشَّرْكَةَ تَخْفَضُ فِي صُورَةِ الْحَجَوزَاتِ الْمُتَعَدِّدةِ مَا لَا تَخْفَضُهُ فِي خَطَّ وَاحِدٍ، وَهَذَا بِرْضَا الْطَّرَفَيْنِ، وَهُوَ يَحْقِقُ لَهَا رِبْحًا بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى الْعَمَلَاءِ، وَهِيَ أَدْرِى بِمَصْلِحَتِهَا. فَإِذَا كَانَ الْمُشْتَرِيُّ قدْ اسْتَخَدَمَ خَطَا أوْ خَطَيْنَ وَبِقِيَّ لَهُ خَطَّ سِيرٍ أَوْ خَطْوَطٍ أُخْرَى، ثُمَّ حَلَّتِ الْجَائِحَةُ فَلَمْ تَسْتَطِعِ الشَّرْكَةُ الْوَفَاءُ بِالْتَّزَامَاتِهَا مَعَهُ وَلَا مَعِ غَيْرِهِ؛ فَإِنْ لَهُ حَقُّ الرَّجُوعِ بِشَمْنِ مَا لَمْ يَسْتَخْدِمَهُ مِنِ الْخَطْوَطِ عَمَلاً بِقَاعِدَةِ تَقْرِيقِ الصَّفَقَةِ عَنْدَ تَعْدِدِ الْمَبْيَعِ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ

7 - روض الطالب 108/2 وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية 15/18

8 - جريدة الإمارات اليوم 27 إبريل 2020

الجمهور، ففي منهج الإمام النووي الشافعي مع مغني المحتاج للخطيب الشربيني يقول:

(وتتعدد الصفة بتفصيل الثمن) من البائع (كبعتك ذا بكتذا وذا بكتذا) فيقبل فيهما، سواء أفضَّل المشترى في القبول أم لا على الأصل، وله رد أحدهما بالعيوب⁹ ونحو هذا في المذاهب الثلاثة الأخرى¹⁰

وعليه فإن مشترى الخدمة أن يرجع على شركة الطيران ونحوها بما بقي له من قسط الثمن الذي لم يستخدمه، وإن شاء أجل استخدامه إلى وقت آخر كما التزمت بذلك الشركات المقدمة للخدمة، فطيران الإمارات قد خيرت متعامليها بأحد الخيارين، فقد أعلنت عن خيار استبدال الجزء غير المستخدم من التذكرة، بقسيمة سفر تعادل القيمة المدفوعة مقابل الحجز الأصلي، لافتة إلى أنه يمكن استخدام هذه القسيمة لشراء أي منتج أو خدمة من «طيران الإمارات» من دون رسوم، ما يوفر مزيداً من المرونة أمام المتعاملين لإعادة الحجز عندما يقررون موعد سفرهم الجديد¹¹

وأما الصورة الخامسة وهي التي تم فيها الاستفادة من العقد ولم يتم دفع قيمة العقد أو بعضه..

وتتصور هذه الصورة في مؤسسات التعليم الخاصة، حيث وقعت الجائحة ولما يتم الفصل الدراسي الأول، وبدأت تدريجياً مع انتهاء الفصل الدراسي الثاني الذي تعطلت فيه المدارس عن أداء خدماتها التعليمية، واعتنقت عن ذلك في بعض الدول التي تملك بنية إلكترونية قوية كدولة الإمارات؛ بالتعليم الإلكتروني عن بعد.

كما تتصور بالنسبة لخطوط الطيران والفنادق في عقود المؤسسات الحكومية والخاصة التي لديها ملاعة معتمدة، ووثيقة كاملة عند شركات الطيران، أو لها مع شركات الطيران اتفاقيات أو مذكرات تفاهم.

كما أنها واردة في حجوزات الفنادق أحياناً للأفراد أو المؤسسات..

وأما عقود الطيران للأفراد فقد تكون معروفة، حيث لا يمكن الفرد من تأكيد الحجز إلا بدفع المبلغ كاملاً.

وأيّاً ما كان؛ فإن الحكم في هذه المسألة واضح من حيث ان الاستفادة من العقد واستخدامه من قبل العميل أو المؤسسة؛ يرتب مديونية واضحة، فلا أثر لجائحة فيروس كورونا عليها إلا من حيث تأخر سداد قيمة العقود المستخدمة إن كان الفرد أو المؤسسة غير قادرة على السداد لانقطاع مواردتها بسبب الجائحة أو غيرها، وذلك لا يعفيها من دفع كامل المبلغ

9 - مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (2 / 400)

10 - انظر الموسوعة الفقهية الكويتية 89-88/13: جريدة الإمارات اليوم أبريل 27 إبريل 2020

11 - جريدة الإمارات اليوم أبريل 27 إبريل 2020

حالاً أو مالاً. ويجب أن يكون الدفع بالقيمة التي تم فيها التعاقد من غير زيادة عليها بسبب التأخير؛ لأن أي مطالبة بالزيادة على المبلغ المستحق تكون من ربا الديون المتفق على حرمته، فإن المبلغ المستحق قد استقر في الذمة باستخدام مقتضى العقد، وعلى شركات الطيران أو الفنادق أو نحوها أن تنظر المستفيد حتى يوسر، وعليها تحمل تفريطها بعدم استيفاء قيمة العقد عند إبرامه كما يكون من الأفراد.

وبالنسبة لمؤسسات التعليم التي واصلت أداء التعليم عن بعد من غير أن تكون هناك كلفة إدارية ضخمة كما لو كان التعليم في المدارس مع الواسلال والوجبات أحياناً إن وجدت؛ فإن الأصل أن يتم التفاهم بين المؤسسة والمستفيد بتحفيض مبلغ العقد بحيث يكون مبلغ التعاقد مناسباً للكلفة الإدارية، إذ لا يمكن أن يحتسب المبلغ في الفترة التي لم يتواجد فيها الدارس في المؤسسة كما لو كان متواجداً فيها، فإن هذا يعتبر حيفاً عليه. والأصل في عقود الخدمات كهذا العقد أن يكون العقد بحسب التكلفة التشغيلية مع ربح معقول، والتكلفة التشغيلية هنا ليست بتلك التي كانت في المدارس من استهلاك للطاقة الكهربائية والمائية والعملية والأصول الثابتة ونحوها، فإن هذه غير موجودة في التعليم الإلكتروني، وقد كانت مأخذة في الاعتبار عند التعاقد، فيتعين أن يعدل العقد في ضوء ذلك، إتباعاً لعدالة توزيع الغنم بالغرم، وإقامة للعدل بين الناس، وتأصيلاً على قاعدة الضرورة تقدر بقدرها.

وأما الصورة السادسة وهي ما إذا كانت مدة العقد مفتوحة، لم يشرع في الاستفادة منه ولم ينته وقته.

فإنه لا يتحقق للمستفيد المطالبة بفسخ العقد، ولا استرداد ما دفعه من قيمة العقد كلاً أو بعضاً، ما دامت الاستفادة ممكنة، والشركة مستعدة لتقديم الخدمة كالذاكر المفتوحة والفنادق، أو مراحل التعليم القادمة، فإن عدم تعذر الاستفادة من العقد كأن أفلست الشركة أو غيرت نشاطها؛ فإن له الحق في الرجوع بما قدمه، وعلى الشركة أن ترد ما قبضته، حيث لا حق لها في قيمة العقد إلا بتوفير الخدمة، وإن كانت آكلة مال الناس بالباطل. فإن كانت قد أفلست فإن له الأفضلية في استيفاء حقه منها؛ لأنه لم يكن مديانياً، بل مشترياً خدمة، فإن وجد مع الشركة ما يعوض به حقه فهو أولى بالتقديم من مزاحمة الغراماء؛ لما روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«إذا أفلس الرجل، فوجد الرجل متاعه بعينه، فهو أحق به»

نَوَافِذُ الْعَصْرِ الْمَافِعَةُ فِي بَلَادِ الْغَرْبِ

بقلم الأستاذ صالح العود
مجاز في الشريعة

للجالية المسلمة المستوطنة في ديار الغرب منذ عقود: مشاكل، ومسائل، ونوازل تخصها فيما يتعلق بشئون دينها ودنياهما، وهي في الغالب تختلف عما هي عليه الحال في أوطانهم الأصلية. وفي هذا العدد نعرض «أنموذجاً» منها، يتعلق بشهر رمضان، وهي في الحقيقة «نازلة» قديمة جديدة تمثل في التنازع أو تجاذب الآراء والمليول حول: كيفية ثبوت شهر رمضان و Shawwal، واعتماده إما بـ«رؤية» الهلال الشرعية، أو بالحسابات الفلكية العصرية... فكلما قرب اهلال شهر رمضان في ديار الغرب، يستعد له المسلمين والهيآت والجمعيات الدينية فيها وبعض أئمة المساجد، من أجل الاطمئنان على دخوله موثقاً ليباشروا صيامه عن قناعة وعلم ومعرفة. لكن ذلك لا يتم بسهولة، وكأنه «جنين» عسير الولادة، فمن الأفراد المسؤولين أو الجمعيات الدينية المعنية، وحتى بعض الإذاعات العربية المحلية تميل إلى جهة الشرق فتعتمد ما ثبت عندها في دخول الشهر أو خروجه، بينما جهات أخرى ترتبط مسبقاً بدول الجالية المسلمة المغاربية، وهناك فئة ثالثة لا ترغب في الرؤية ولا الارتباط بالخارج، بل تعتمد الحساب الفلكي أصلاً، وتفضله، زعمها منها للتخلص من الخلاف، وللأجتماع على كلمة سواء في دخول الشهر الكريم. ومما زاد الجالية المسلمة شقة وعمقاً في الخلاف بخصوص هذه النازلة، لحدّ أنك تجد داخل بيتها وبين أفراد الأسرة الواحدة: إنقساماً وتبيناً في بدء الصوم، فالاب والام عزماً على الشروع في الصيام، بينما من بين الأبناء من يتأخر عنهما في ذلك، وبالتالي فكل يصوم على مزاجه. وكذلك الحال نفسها بين المساجد الكبيرة، فهي بدل أن تتوحد في بدء الصوم، تجدها منقسمة على نفسها ورؤادها، وتتكرر هذه المأساة المقلقة في نهاية شهر رمضان من أجل الافتخار واستقبال شعيرة العيد. ثم ان هذه النازلة (الام) تتفرع عنها نازلة أخرى، تمثل في «اختلاف المطالع» للهلال من بلد إلى بلد، وهي أيضاً مسألة قديمة جديدة. والحكم الشرعي في هذا الموضوع واضح، ولم يبق هملاً، أو يتصرف فيه عوام الناس ورعاهم، فقد حسم شرعنا الحكيم في ذلك، ولا مجال للخوض فيه عبثاً... فالقرآن الكريم يتبّه جميع المؤمنين والمؤمنات في كل زمان ومكان بقوله عزّ من قائل (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) الآية 185 من سورة البقرة الكريمة، وآخر النسائي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) الحديث، وعن ابن عمر كما في سنن أبي داود- انه قال: «تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله اني رايته، فصامه وامر الناس

بصيامه»، وفي حديث ابن عباس أن اعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أني رأيت الهلال، فأمر بلالا، فاذن في الناس: فليصوموا غدا، وغيرها من النصوص التي تعتبر أن الرؤية هي الاصل في الصيام، والمعتمد على عهد الرسول والخلافة الراشدة، إلى زمن معاوية اذ حصل اشكال مrir في هذا المسار. وصدر عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي (في دورته الثالثة سنة 1407 هـ= 1986م) القرار التالي: «بعد الاستماع إلى الدراسات المقدمة من الأعضاء والخبراء حول المسألة، قرر: 1- إذا ثبتت الرؤية في بلد، وجب على المسلمين الالتزام بها .. 2- كما يجب الاعتماد على الرؤية، ويُستعان بالحساب الفلكي والراصد، مراعاة للاحاديث النبوية، والحقائق العلمية». اهـ فهذه النصوص الشرعية، والبلغات من المجامع الفقهية، توقف الخلاف، وتقطع الاهواء، بل انها تقرب ولا تفرق، وتوحد ولا تفرق، ولكن إلى الله المشتكى مما يحصل بين المسلمين في دول الغرب.

أما مسألة «اختلاف المطالع» فلها ابعاد أخرى خطيرة ومتّساوية، وتعود جذورها إلى عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فقد أخرج وقائع هذه الحادثة مسلم في صحيحه وابو داود والنسائي في سنتيهما كما يلي: أن أم الفضل بنت الحارث، بعثته إلى معاوية بالشام، فقال: قدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل على رمضان وانا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم ذكر الهلال، فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم لورأه الناس، وصادموا وصادوا معاوية. فقال: لكننا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل الثلاثين، أو نراه. فقلت: او لا نكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من هنا نتبين أن بعض البلدان «النائية» قد تختلف عن غيرها في تقديم الصوم أو تأخيره وفق رؤية الهلال في هذا البلد أو ذاك، والسبب عندي في ذلك الزمن: بعد المسافة بين الأقطار، وانعدام المواصلات التي تختصر الطريق أو الوقت، وهو ما نتمتع به في عصرنا والحمد لله، لذلك نشأ ما يُعرف في كتب الفقه بـ«اختلاف المطالع». ولكن في ظني أن هناك رأيا «ثالثا» يسبّب الاختلاف، ويع عدم «الوحدة» التي ينشدها الإسلام ويرمي إليها كرمز لأمة واحدة واحدة، والى ذلك تشير الآية الكريمة: «وان هذه أمتك امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) وكذلك (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)، لكن على مدى التاريخ فقد شققت «امة الاسلام» بالخلاف والشقاق، والتعصب المري، سواء في حياتها السياسية والاجتماعية أو الشؤون الدينية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... وحسينا الله ونعم الوكيل.

وقد علق فضيلة الشيخ الدكتور عبد الوهاب ايياط (استاذ التعليم العالي بكلية الشريعة في جامعة القرويين بفاس) على ما جرى بسبب تلك الواقعة،

وما انجرّ معها من خلاف سلبي لا يزال ساريا حتى يومنا، فقال «المشكل هو الخلاف السياسي، الذي سرى إلى استعمال الدين: نصوصاً ومعانٍ لتأييد جانب على آخر، وليس المشكلة في ثبوت الرؤية ثبتاً شرعاً، إنما المشكلة في اختصار تلك الرؤية لبعض الأغراض السلطوية السياسية، «ولما توسع الخلاف بين الجالية المسلمة في فرنسا بهذا الخصوص في هذه «النازلة»: (كيفية ثبوت دخول رمضان... وحكم اختلاف المطالع، في هذا العصر شرعاً وعقلاً)، دعيت إلى القاء «محاضرة» في ذلك عند انعقاد (اللقاء الأول للائمة والدعاة) بـأحدى الضواحي الباريسية بتاريخ 24/3/1989 م، ومما قالته في جموع الحاضرين: «إن اجهزة الاعلام الغربية هنا تجد ضالتها في المسلمين لتصورهم بصورة اقرب ما تكون إلى عصر الجاهليّة الأولى: فلا رابط يربطهم، ولا مرشد يرشدهم، ولا قائده يقودهم في دينهم، مع أن كتاب ربهم وسُنة نبيهم ! مامهم واماهم. صحيح أن اختلاف رؤية الهلال امر قدّيم، لكن لم يكن يوماً ما عامل فرقه وانقسام، أو صدّ عن سبيل الله... والائمة المجتهدون، والعلماء المعاصرون بحثوا في المسألة، وكان محور اجتهادهم حديث أبي هريرة رضي الله عنه ونصه: «صوموا لرؤيتهم، وافطروا لرؤيتهم» مع اثر كريب مولى ابن عباس رضي الله عنّهما، فتعددت آراؤهم فيها، وأنا أجملها بايجاز على النحو التالي:

الرأي الأول: إذا رئي الهلال ببلد لزم جميع المسلمين في الاوطان كلها، لا فرق بين قريب أو بعيد، وهو قول أكثر الفقهاء المجتهدين واتباعهم، ومن العلماء من يعبر عنه بـ«قول الجمهور»، وهؤلاء لا يقولون باختلاف المطالع ومعتمدتهم: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمله.

الرأي الثاني: لكل بلد رؤيته - وهؤلاء قلة - ومعتمدتهم اثر كريب.

الرأي الثالث: إذا تقارب البلدان كان حكمها حكم البلد الواحد، ولا اعتبار حينئذ لاختلاف المطالع، أما إذا تباعدت نسبياً فلكل بلد رؤيته.

ثم قررت أن كثيراً من أئمة الفقه في المذاهب الاربعة المشهورة في العالم: العربي / الاسلامي / والغربي اختاروا عدم الإعتماد باختلاف المطالع، وتبعهم غالبية العلماء في هذا العصر من كل البلدان، لاعتبارات جدّ مهمّة، منها بل أهمّها: وحدة الاوطان في المواسم الشرعية، والاعياد الدينية، واتحاد الشعوب المسلمة: عقيدة وعبادة واحلاقاً وسلوكاً... لذلك عقب على الدكتور أحمد عيساوي (استاذ علم الحديث) قائلاً: ان راي الجمهور القائل: بعدم الإعتماد باختلاف المطالع، هو الاقوم والاعلى، لما يترتب عليه من نتائج حسنة في حياة المسلمين: حاضرهم ومستقبلهم.

أثر مرشد ابن تومرت في وحدة الأمة

إعداد الباحث الأستاذ حمزة معلawi - المغرب

أولاً: دور ابن تومرت في خدمة العقيدة الأشعرية من خلال مرشدته وتوحيد المغاربة عليها لقد عمل الإمام على خدمة العقيدة الأشعرية من خلال مؤلفاته العقدية التي من أشهرها هذه العقيدة السننية «المرشدة»، وقد توفرت جملة من الأسباب ساهمت في أن يكون هذا الانتشار الأوسع على يديه، من بينها:

• السبب الأول:

التمهيد الذي سبقه ممثلاً في قبول المغاربة للعقيدة الأشعرية حيث أنها وافقت ما كان عليه السلف وعلى ما كان عليه المالكية الأوائل، إذ أن أبو الحسن الأشعري لم يأت بجديد إنما قرر ما كان عليه السلف من حيث الأصول العقدية.

• السبب الثاني:

قيام أشاعرة قبله بدور كبير تجلّى في عدّة مناحٍ، أذكر منها: التأليف في علم الكلام الأشعري: فقد ألف الأعلام قبله في العقيدة الأشعرية، وذلك من خلال ثلاثة طرق:

• الطريقة الأولى: تصنيف المصنفات الخالصة في العقيدة الأشعرية، ومن بين من سار على هذا النهج: الإمام أبو بكر المرادي الحضرمي، صاحب كتاب: «العقيدة» التي لا تخرج عن أصول العقيدة الأشعرية.

• الطريقة الثانية: عمل منظومات عقدية على وفق طريقة الأشعري في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن بين من سلك هذا النهج: الإمام أبو الحجاج الضرير، صاحب المنظومتين العقديتين: «التبيه والإرشاد في علم الاعتقاد»، و«الأرجوزة الصغرى» اللتان تعدان من أهم المنظومات في العقيدة الأشعرية.

• الطريقة الثالثة: الاعتناء بأمهات الكتب في العقيدة الأشعرية بالشرح، ومن بين من نجح هذا النهج: الإمام محمد بن علي المازري (ت 530 هـ) الذي قال عنه القاضي عياض: «هو آخر المتكلمين من شيوخ إفريقيا بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر، لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه منه ولا أقوم بمذهبهم»، ويتجلى ذلك في شرحه المسمى: (المهاد لشرح الإرشاد).

• الطريقة الرابعة: المناظرة، وذلك للذبّ عن عقيدة الإسلام والدفاع عنها، ويأتي هنا من أخبار أبي الحجاج ما يدل على أنه كان مفزع الناس في مناظرة المخالفين للعقيدة الإسلامية وتمكنه فيها، فقد ورد عن الإمام السكوني رواية عنه أنه قال: (حضرنا يوماً بعض أخبار اليهود فتكلم في

التعديل والتجمير، وجاء بتأثيل كثیر، وكان مما أحواله وأنكره: أن يكون الله تعالى يأمر بما لا يريد كونه. فقلت له: أليس قد أمر الخليل أن يذبح ابنه؟ فقال: بل! فقلت: فهل أراد ذبحه؟ فقال: لا. فانقطع لوقته، وأمسك لحيته. قال الأستاذ أبو الحجاج: وهم في هذه المسألة إخوان المعتزلة. وقد بسط القول فيها أئمة أهل السنة، والحمد لله ولـي الطوـل والمـلة^١.

٠ السبب الثالث :

الرحلة إلى المشرق والأخذ عن كبار علماء الأشاعرة بها؛ فقد تأثر كثیر ممن رحل إلى المشرق بعلماء الأشاعرة ومن أبرزهم الإمام الباقلاني (403هـ)، الذي أسهمت مالكيته في تأثر المغاربة بأشعاريته، ومن بين من تأثر به:

٠ أبو عبد الله الأزدي، الذي يرجع إليه الفضل في انتشار مذهب الباقلاني في المغرب^٢.

٠ أبو الطاهر الواعظ محمد بن علي المعروف بابن الأنباري، والذي يعد كذلك ممن يعود الفضل إليه في نشر مذهب الباقلاني بالغرب.

٠ أبو عمران الفاسي (ت 430 هـ).

٠ الإمام الصيرفي أبو القاسم عبيد الله بن أحمد (ت 435هـ).

٠ أبو الفضل عبيد الله بن أحمد المقرى (ت 451هـ).

ثانياً: نظرية نقدية في مذهبية ابن تومرت العقدية إن تاريخ دولة الموحدين شابتـه كثـيرـ من الاضطرابات، غير أن الضجيج الذي انتشر في بعض المصادر التي أرـختـ لقيام دولة الموحدـينـ، يحتاجـ الأمرـ فيهـ إلىـ بيانـ يعتمدـ إلىـ تحلـيلـ علمـيـ للنصـوصـ التيـ سـطـرـتـ الكلـامـ عنـ هذاـ المـوضـوعـ، الذيـ أـظـهـرـ اـضـطـرـابـاـ وـأـضـحـاـ أـثـرـ علىـ فـهـمـ الـأـحـدـاثـ، مـاـ استـدـعـيـ الـبـحـثـ فيـ تـصـنـيفـ هـذـهـ الـمـصـادـرـ، وـبـعـدـ الـمـراـجـعـ الـدـقـيـقـةـ لـلـرـوـاـيـاتـ الـتـيـ أـرـخـتـ لـلـأـحـدـاثـ، سـنـجـدـ أـنـ هـنـاكـ ثـلـاثـةـ أـصـنـافـ مـنـ الـمـصـادـرـ:

٠ الصـنـفـ الـأـوـلـ: صـنـفـ يـحـمـلـ فيـ شـاهـيـهـ الـكـيدـ وـالـعـدـاءـ لـلـأـشـاعـرـةـ وـلـعـقـيـدـتـهـ نـفـسـهـاـ.

٠ الصـنـفـ الثـانـيـ: صـنـفـ مـنـ الـمـؤـرـخـينـ اـعـتـمـدـ عـلـىـ النـصـوصـ الـتـيـ سـيـقـتـهـ فيـ سـرـدـ الـحـدـثـ بـدـوـنـ أـنـ يـعـمـلـ عـلـىـ تـوـضـيـحـ الـأـمـورـ الـتـيـ شـوـهـتـ التـاقـضـ فـيـهـاـ عـيـانـاـ.

٠ الصـنـفـ الثـالـثـ: وـهـذـاـ قـلـيلـ، قـامـ بـإـنـصـافـ الـإـمـامـ ابنـ تـوـمـرـتـ مـنـ نـاحـيـةـ دـعـوـاـهـ الـالـتـزـامـ بـالـعـقـيـدـةـ الـأـشـعـرـيـةـ وـحـرـصـهـ عـلـىـ تـعـلـيمـهـاـ لـلـكـبـارـ وـالـصـغـارـ.

١ - عيون المناظرات، أبي علي عمر السكوني، ص: 290-291.

٢ - القاضي أبو بكر الباقلاني وأراؤه الكلامية والفلسفية، عبد العزيز المجدوب، ص: 41.

اختلفت الآراء حول مذهبية ابن تومرت العقدية، غير أن هناك من غير المُنصفين من تحامل عليه فطعنه وافتقر إلى عليه ونسب إليه أموراً هو بريء منها، ومنهم ابن تيمية الذي افتقر إلى عليه في مَوَاضِعٍ من كتبه، منها قوله: (ابن تومرت يقول بالوجود المطلق).³

وقوله فيه أيضاً: (كان قوله في التوحيد قول نفأة الصفات جهنم وابن سينا).⁴

وقوله فيه أيضاً: (وضع لهم المرشدة المتضمنة مثل عقيدة المعتزلة وغيرهم من الجهمية في التوحيد).⁵

والإمام ابن تومرت بعيد من كل هذا أبعد مما بين الشرق والغرب، ومما نسب إليه كذباً وافتراء من غير تحقيق ولا تدقيق، نسبة الاعتزاز إليه، وفي هذا البحث المتواضع أحارُل أن أزيل الغبار عن هذه الشخصية الفدّة، رحمة الله رحمة واسعة.

للمعتزلة مقالات كثيرة خالفوها فيها أهل السنة والجماعة في أصول العقيدة، وفي بعض الفروع المجمع عليها، فمن ذلك قوله:

1. بنفي الصفات الأزلية عن الله، وقولهم: هو سميع لا يسمع، بصير لا يبصر، قادر لا بقدرة إلخ، زاعمين أن إثبات صفات أزلية يؤود إلى القول بتعذر الأزليين مع الله تعالى.⁶

أما ابن تومرت ففي كتبه يخالف المعتزلة في كل ما خالفوها فيه أهل السنة والجماعة: الأشاعرة والماتريدية.

يقول في العقيدة المرشدة: (جميع الخلائق مقهورون بقدرته)؛ فأثبتت صفة القدرة الأزلية لله.

وقال أيضاً في نفس عقيدته: (وله العز والبقاء) وفي ذلك إثبات صفتين لله تعالى، فالعزّة هي الغلبة والقدرة، والبقاء صفة أزلية لله.

2. في أفعال العباد:

يذهب المعتزلة إلى أن الإنسان خالق أفعال نفسه وأنه ليس لله في ذلك صُنْعٌ ولا تقدير، وإنما هو أقدارهم عليها فقط، وأن أحكام الله مُعللة برعاية مصالح العباد.⁷

وأما الإمام ابن تومرت فيصرح بخلاف ذلك ويقول في «العقيدة المرشدة»:

3 - كتاب: النبوات، ابن تيمية، (1/401).

4 - كتاب: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (3/438).

5 - كتاب: تبيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، (3/103).

6 - التبصير في الدين وتمييز الفرقـة الناجية عن الفرقـة الـهـالـكـينـ، الإسـفـراـينـيـ، صـ: 87.

7 - الفرقـ بينـ الفرقـ، صـ: 59 - 79 - 80.

(خلق العالم بأسره): والعالم عبارة عن كل ما سوى الله تعالى، فتشمل الأعيان والأعراض، وقد أتى بلفظ «بأسره» تأكيداً للدخول سائر المحدثات في جملة مصنوعات الله عز وجل.

3. في رؤية الله:

أنكر جميع المعتزلة جواز رؤية المؤمنين ربّهم وهم في الجنة، وهو تعالى بلا كيف ولا مكان ولا جهة ولا مقابلة، ليس كمثله شيء، وتأولوا الآية: «وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٍ إِلَيْهَا نَاظِرَةٌ»⁸ على معنى نعمة ربها مُنتظرة.⁹ وأما الإمام ابن تومرت فيقول في أعز ما يطلب: (وما ورد من الشرع في الرؤية يجب التصديق به؛ يرى من غير تشبيه ولا تكييف، لا تدركه الأبصار بمعنى النهاية والإحاطة والانفصال لاستحاله اتصافه بحدوث المحدثات).¹⁰

4. في النبوة والمعجزة:

ترى المعتزلة أنه يجب بعثة الرسل لأنها من مقتضيات عدل الله، على ما زعموا، إذ إن في ذلك صلاحاً للعباد.¹¹

يقول ابن تومرت في «رسالة في العبادة» ما نصه: (جواز إرسال الرسل بالتكليف).¹²

5. في التحسين والتقييم:

يقول المعتزلة بأن العقل مستقل بالتحسين والتقييم، فما حسن العقل كان حسناً، وما قبّحه كان قبيحاً، وقدمووا العقل في معرفة الأحكام الشرعية.¹³

أما ابن تومرت فقد عقد عقد لذلك فصلاً مستقلاً في «أعز ما يطلب» فقال: (الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل) يعني استقلالاً،¹⁴ بين فيه أن الشرع هو الأصل، والعقل إنما هو شاهد للشرع، ولا يأتي الشرع إلا بمحozات العقول.

6. في الموت بالأجل:

ذهب طائفة من المعتزلة إلى القول بأن من قُتل فقد انقطع أجله بالقتل، وأنه لو لم يُقتل ليُبقى إلى وقته المقدر له، فالقاتل -على زعمهم- قد غير الأجل الذي قدره الله تعالى له بالتقديم.¹⁵ يقول ابن تومرت في «أعز ما يطلب»: (والآجال محدودة، لا يستأخر شيء عن أجله ولا يسبقه، ولا يموت إلا

8 سورة القيامة، آية: 22-23

9 الفرق بين الفرق، ص: 79

10 أعز ما يطلب، ص: 221.

11 كتاب: «المغني في أبواب التوحيد والعدل» (1/28).

12 رسالة في العبادة، محمد بن تومرت، ص: 224.

13 كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل، (6/26).

14 أعز ما يطلب، ص: 157.

15 كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل، (6/26).

بِهِوَالإِسْلَام

أحد دون أن يستكمل رزقه ولا يتعدى ما قدّر له).¹⁶ وبذلك يظهر أن محمد بن تومرت رحمة الله بريء من الدعّاوى التي لا تثبت أصلاً إلا بالطريق الشرعي بنقل الثقات كالأئمّة والعلماء العدُول باليقين لا بالظن، فلذلك لم يكن لنا أن نسيء بابن تومرت الظن أو نرميه بالاعتزال أو الفجور أو الظلم، ولا يكفي في إلقاء التهمة أن يعتمد على نقل أمثال ابن تيمية لما قد يكون له من مآرب وأهداف من وراء تشويه سمعة ابن تومرت.

وقد ذكر التاج السبكي في «الطبقات» عن العلائي عن الذهبي: أنه شاهد بخط أحمد بن المجد يقول: «فُحْكِيَ لِي أَنَّ الشِّيخَ فَخْرَ الدِّينَ بْنَ عَسَاكِرَ كَانَ يُقْرَئِ بِمَدْرَسَةِ الْمَرْشِدَةِ فَقَلَتْ بَلْ هِيَ الْمَضِيلَةُ»، وما هذا إلا نزر قليل من التحامل على أهل السنة والجماعة.

ثالثاً: أثر المرشدة في وحدة الأمة

1. بيان سنية العقيدة المرشدة:

من العلماء الذين أثروا على المرشدة خليل بن كيكلي العلائي الشافعى (ت 761هـ)، فقد قال في المرشدة: «جرى فائقها على المنهاج القويم والعقد المستقيم، وأصاب فيما نزه به العلي العظيم».¹⁷

وكان تاج الدين السبكي من المستحسنين للمرشدة، المثبتين لصحتها، فقد قال عنها معلقاً: (هذا آخر العقيدة، وليس فيها ما ينكره سني)¹⁸، وجعلها في مرتبة واحدة مع عقيدة له من إنشائه، وعقيدة للإمام الطحاوى، وعقيدة لعبد الكريم بن هوزان القشيري (ت 465هـ)، كما تعرض بالفقد الشديد للذين رفضوا هذه العقيدة، ودافع عن أصحابها ابن تومرت، حيث نفى عنه تهمة الاعتزال بقوله: (فاما دعواه - أي ابن تيمية - أن ابن تومرت كان معتزلياً فلم يصح عندنا ذلك، والأغلب أنه كان أشعرياً صحيحاً العقيدة، أميراً عادلاً، داعياً إلى طريق الحق).¹⁹

2. انتشار العقيدة المرشدة في العالم الإسلامي:

إن وجاهة المرشدة وبلامتها، وسلامتها من كل مخالفة ظاهرة للآراء الأشعرية ترتب عنده الزيوع والانتشار، وجلب لها العناية المتزايدة بالدرس والشرح سواء في عهد الموحدين أو بعدهم، وكان الم Heidi نفسه يوليه عناية فائقة بالتبلیغ والتدریس.

يقول عبد الله كنون عن المرشدة: (عقيدة المرشدة التي لقيت رواجاً كبيراً في حياته وبعد مماته، وتلقاها أئمّة العلم بالقبول، وحكموا عليه من خلالها بسلامة العقيدة وصحة المذهب).²⁰

16 أعز ما يطلب، ص: 220.

17 طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (5/70)

18 المصدر نفسه.

19 المصدر نفسه.

20 كتاب: جولات في الفكر الإسلامي، تأليف: عبد الله كنون، ص: 96

١ - انتشارها في المغرب الأقصى:

اعتنى أهل المغرب بالعقيدة المرشدة تدريساً وتأليفاً وحفظاً منذ زمن تأليفها إلى عصرنا الحالي، وقد لقيت صدى واسعاً في الأوساط العلمية في فترات زمنية مختلفة وفي أماكن من المغرب الإسلامي، متباعدة، من الأندلس والمغرب والجزائر وتونس ولبيبا والسودان، وفي غير ذلك من الأماكن، وتهافت العلماء إلى شرحها، وفيما يأتي بعض جوانب اهتمام المغاربة بالعقيدة المرشدة:

بدأت العناية بالعقيدة المرشدة بالمغرب الأقصى في عصرها الأول؛ حيث أولاًها مؤلفها عناءة بالغة تجلت في تدريسيها وترجمتها إلى اللغة الأمازيغية.

- عناءة السلطان عبد المؤمن به حيث أصدر مرسوماً يأمر فيه العامة بحفظ هذه العقيدة وفهمها.

• عناءة أهل فاس بتدرسيها حيث كانت متداولة بمدينة فاس، يتناقلها العلماء بالرواية، ويتناولونها بالشرح، وقد كتب عليها ابن عباد شرحاً سماه (الدرة المشيدة في شرح المرشدة).

• عناءة أهل سوس بها حفظاً وتدريساً وشرحها، ذكر في ذلك شرح الإمام بيورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي.

٢ - في المغرب الأوسط:

اهتم أهل تلمسان بها، فقد كانت المرشدة مقروءة بتلمسان متداولة بها، وقد وضع عليها شرحاً العالم محمد بن يوسف السنوسي (ت 1088هـ/1489م) بطلب من بعض أهل تلمسان، وهو شرح مفيد على الطريقة الأشعرية، توجد منه نسخة بالخزانة الحسينية بالرباط، رقم: 10880.

وقد شرح المرشدة أيضاً من أهل تلمسان أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد بن إسماعيل بن علي الأموي المعروف بابن النقاش، وسمى شرحه (الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة)²¹.

٣ - في إفريقيا:

كانت المرشدة معروفة بتونس، متداولة فيها بالحفظ والدراسة وقد قام بشرحها أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني²².

21 هذا الشرح مخطوط، وله نسختان بالخزانة العامة بالرباط، رقم: ق 283، لـ 2691.

22 وقد حقق هذا الشرح من طرف الأستاذ يوسف أحناة، وطبعه دار الغرب الإسلامي سنة 1993م.

23 شرح الطرابلي على العقيدة المرشدة، للطرابلي، اللوحة: 1، بمجموع تحت رقم: 5296، بالمكتبة الوطنية بفرنسا.

24 شرح الطرابلي على العقيدة المرشدة، للطرابلي، اللوحة: 2، بمجموع تحت رقم: 5296، بالمكتبة الوطنية بفرنسا.

4- بليبيا:

كانت المرشدة معروفة ومتناولة أيضاً بطرابلس، وهو ما وصفه أبو عبد الله محمد بن يحيى الشيباني الطرابلسي في شرحه على المرشدة: (العقيدة المعروفة بالمرشدة المنسوبة إلى الإمام المهدى رحمة الله، كثيراً ما يستعملها أهل الفضل من الصوفية ويقرؤونها من جهة التبرك في أذكارهم).²³

ومن مظاهر عنایتهم بها وضعهم الشرح على، فقد شرحها الصوفي أبو عبد الله محمد بن يوسف الخراط كما ذكره الشيباني قائلاً: (وقد كان الشيخ المتتصوف الفقيه الزاهي أبو عبد الله محمد بن يوسف الصنهاجي، عرف بالخراط وضع عليهما شرحاً، وكانت أنا متولياً كتبه بعد إملائه عليٍّ في عام أربعين وسبعينة).²⁴ وللإمام الشيباني أيضاً شرح على المرشدة لأن شرح شيخه الخراط قد ضاع، وقد جاء هذا الشرح من أهم شروح المرشدة في دقته، وما بنى عليه من المقابلة بين الآراء، وما جرى عليه من الصبغة الجدلية، ويبدو أن صاحبه واسع الاطلاع على علم الكلام ومذاهبه.

5- في بلاد الشام:

لم تكن المرشدة متداولة شائعة بال المغرب فحسب، بل طار ذكرها إلى بلاد الشام أيضاً، وكانت معروفة مأخذوة بالدرس في الشام إلى أيامنا خاصةً منذ القرن السادس إلى ما بعد القرن الحادى عشر، وفيما يأتي ذكر بعض من عمل على الاعتناء بها بالتدريس أو المدح أو الأمر بتعليمها أو التأليف في شرحها:

- اعتناء الشيخ فخر الدين بن عساكر بها حيث أقبل عليها واستحسن ما فيها وعمل على تدريسها (ت 620هـ/1223م).

- اعتناء تاج الدين السبكي بها حيث استحسنها للمرشدة المثبتين لصحتها، فقد علق عليها بعدها أورد نصها كاماً بقوله: (هذا آخر العقيدة، وليس فيها ما ينكره سني)، وجعلها في سياق واحد مع عقيدة له من إنشائه، وعقيدة أبي جعفر الطحاوي (ت 321هـ).

- اعتناء السلطان صلاح الدين الأيوبي بها، حيث كان السلطان صلاح الدين الأيوبي حريضاً على أن تنشر وتقرأ في وقت السحر وأن تدرس في المدارس معانيها العظيمة. قال الفقيه محمد بن علان البكري (ت 1057هـ) ما نصه: (لما ولَيَ السُلطانُ صَلَاحُ الدِّينَ بْنَ أَيُوبَ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى اعْتِقَادِ مَذَهَبِ الْأَشْعَرِيِّ، أَمَرَ الْمُؤْذِنِينَ أَنْ يَعْلَمُوا وَقْتَ التَّسْبِيحِ بِذِكْرِ الْعِقِيدَةِ الْأَشْعُرِيَّةِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالْمَرْشِدَةِ، فَوَاضْطَبُوا عَلَى ذِكْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ).²⁵ فيظهر لنا من خلال هذا النص أن السلطان صلاح الدين الأيوبي ألهِم

23 شرح الطرابلسي على العقيدة المرشدة، للطرابلسي، اللوحة: 1، بمجموع تحت رقم: 5296، بالمكتبة الوطنية بفرنسا.

24 شرح الطرابلسي على العقيدة المرشدة، للطرابلسي، اللوحة: 2، بمجموع تحت رقم: 5296، بالمكتبة الوطنية بفرنسا.

25 طبقات الشافعية، للسبكي، (5/70).

26 الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، (2/77).

الصواب، فقد عمل على توحيد العقول والقلوب بالعقيدة السننية الأشعرية، فتوحدت الأمة على يده وقويت بفضل جمعها على هذه العقيدة السننية. وقد استمر الحال بعد موته على ما كان، فلأكثر من أربعة قرون والعقيدة المرشدة يرددتها المؤذنون في وقت التسبيح.

وفي القرن الحادى عشر كتب عليها شرحاً الشیخ عبد الغنی النابلسی الحنفی الماتریدی الصویفی سماه (نور الأفقاء في شرح المرشدة). ومازال أهل السنة في بلاد الشام على تدریسها وشرحها وحفظها، فقد عمل عليهما الشیخ سمیر القاضی الکیفونی الشامی من أهل زماننا شرحاً مختصراً بتحرير وتحقيق وإتقان وضبط وسهولة وسلامة سماه: «مرشد الحائر في حل ألفاظ رسالة ابن عساکر».

6 - في الدول الأوروبية وغيرها:

فقد اعتنى أهل العلم بها في فرنسا وسويسرا وألمانيا وبلجيكا وغيرها من الدول كأستراليا، إذ تلقفها مسلموها وترجموها إلى الإنجليزية، وحالياً تدرس بمدارسهم ومراكزهم.

المصادر والمراجع:

- أعز ما يطلب، ابن تومرت، تھ: عمار الطالبی، طبعة وزارة الثقافة بالجزائر، سنة: 2007.
- التبصیر في الدين وتمییز الفرقۃ الناجیة عن الفرقۃ الھالکین، أبو المظفر الإسپرایینی، تھ: کمال یوسف الحوت، طبعة: عالم الكتب.
- جولات في الفكر الإسلامي، عبد الله کتون، طبعة: مطبعة الشویخ.
- طبقات الشافعیة الكبرى، تاج الدين السبکی، تھ: محمود محمد الطناھی، طبعة: فيصل عیسی الحلبی، سنة: 1964.
- عيون المناظرات، أبو علي عمر السکونی، تھ: سعد غرّاب، منشورات الجامعة التونسية 1976.
- الفتوحات الربانية على الأذکار النواوية، العلامة محمد علي بن محمد علان البکری، دار الكتب العلمية.
- الفرق بين الفرق، أبو منصور البغدادی، تھ: محمد الخشت، طبعة: مكتبة ابن سینا.
- القاضی أبو بکر الباقلانی وآراءه الكلامية والفلسفية، عبد العزیز المجدوب، دار ابن حزم، 2009.
- كتاب النبوات، ابن تیمیة، تھ: عبد العزیز بن صالح الطویان، طبعة أضواء السلف، سنة 2000.
- كتاب بیان تلییس الجھمیة، ابن تیمیة، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، سنة: 1426 هـ.
- كتاب درء تعارض العقل والنقل، ابن تیمیة، تھ: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1991م.
- المغنى في أبواب التوحید والعدل، القاضی عبد الجبار، تھ: محمد خضر نبھا، طبعة: دار الكتب العلمية، سنة: 2012.


بُوهْرَالإِسْلَام

المهدي بن تومرت، حياته وأراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالغرب، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، سنة: 1983.
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تقي الدين المقرizi، تحرير: أيمن فؤاد سيد، طبعة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، سنة: 1995.

المخطوطات:

شرح الطرابلي على العقيدة المرشدة، للطرابلي، بمجموع تحت رقم: 5296، بالمكتبة الوطنية بفرنسا.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله:

الاسلام دين الموازنات الصحيحة

إن الإسلام دين الموازنات الصحيحة بين المادة والروح بين العقل والجسد ،
بين الدنيا والآخرة ، بين أبناء البشر أنفسهم فهو لا ينظر إلى الأشياء
و لا إلى الأشخاص على أساس النتائج الحاصلة من نفع أو ضرار ثم هو
بالآخرة دين الجمع والتكتيل لا دين التفريق والتمزيق ، دين الجماعة
المتراسمة المتناصرة التي تعطي لسلم القيم ما هو جدير به من اعتبار
ولست مبالغًا إذا قلت أنه العلاج الوحيد لأدواء جميع المجتمعات النامية
والمصنعة على حد سواء فعسى الله أن يزيل الغشاوة عن أوصار الناس
وبصائرهم فيعلموا أن لا سبيل إلى المقارنة بين شريعة السماء وشرائع
الأرض وبين ما ينزل به الوحي المعمصوم وما يتخيله المنتسبون إلى العلوم
والفهوم ، ولقد صدق ربنا حين قال: (بل نفذ بالحق على الباطل
فيدمغه فإذا هو زاهق و لكم الويل مما تصفون) صدق الله العظيم .

كَلْمَيْهُ الْإِسْلَامِ فِي الْفُرَآنِ وَالسَّنَةِ

بِقَلْمِ الْأَسْتَاذِ صَالِحِ حَمْدِي

الدين الإسلامي هو الديانة السماوية الخاتمة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، فأيده بالقرآن العظيم خاتم الكتب السماوية، وهو معجزة الإسلام الخالدة الموجهة للعالمين أي للناس كافة، وذلك هو المقصود بعالية الإسلام أي أن الله تعالى ارتضاه للناس كافة عبر الكثير من الموضع الكريمة وفي مقدمتها سورة الفاتحة أم الكتاب التي افتتحها جل وعلا بقوله (الحمد لله رب العالمين) للتأكيد على أنه عز وجل هو رب العالمين أي رب الناس كافة جميعاً في العالم، وجاءت شهادة الله سبحانه وتعالى في الآيات 18-19 من سورة آل عمران: (شهد الله أن لا إله إلا هو والملاكية وأتوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب)، (ومن بيته غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) نزلت هذه الشهادة فكانت بمثابة العنوان للرسالة التي بعث بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء والرسل من قبله للدعوة للإسلام لله وحده بتوحيده وإفراده بالعبادة وعدم الشرك به، كما جاء في الكتاب والسنة، وذلك هو أساس عالمية الإسلام وكوئيته وشموليته للإنسانية كافة كما جاء في أمر الله تعالى (وما أرسلناك إلا كافلة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) س سيا 28، فكان من أول عمله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة للمدينة المنورة أن آخى بين المهاجرين والأنصار ووادع اليهود على السلم.

حِجَّةُ الْوَدَاعِ وَخُطْبَةُ الْوَدَاعِ

في السنة المشرفة روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « أنا رسول من أدركت حياً ومن يولد من بعدي والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي أو نصراوي ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار » (راه مسلم)، وفي نفس السياق وبينما كان النبي صلى الله عليه وسلم عشيّة يوم عرفة بجبل الرحمة للحج نزلت عليه الآية الكريمة : (اليوم أكملت لكم دينكم وأنتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) س المائدة 3، فاستوعبها الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبارها أكبر نعمة أنزلها الله تعالى على الأمة الإسلامية ليكمل لهم دينهم فلا يحتاجون بعده إلى دين غيره ولا إلىنبي غير نبيهم صلى الله عليه وسلم، ولذلك جعله جل وعلا خاتم الأنبياء والرسل وبعثه إلى الشقين الإنس والجن في العالمين، وبناء على ذلك أكد الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم عرفة على تلك المعاني بقوله : « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وأن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعجمي ولا لاعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر، إلا بالتفوي (حديث صحيح)، فكانت حجة الوداع وكانت خطبة الوداع، ونورد نص الخطبة تحميلاً من سجل الهيئة العالمية لحقوق الإنسان كما ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم من جبل الرحمة بعرفة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده رسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإنني لا أدرى على لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلا هل بلغت اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من آتمنه عليها وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبداً به هو ربا عمي العباس بن عبد المطلب. وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والستالية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بغير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية إلا هل بلغت اللهم فاشهد. أما بعد أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرن من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إنما النسی زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. وإن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة ذو الحجة وذو المحرم ورجب مصر الذي بين جمادى وشعبان إلا هل بلغت اللهم فاشهد.

أما بعد أيها الناس إن نسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق. لكم أن لا يواطئن فرشهم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعذلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللت فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً إلا هل بلغت....الله فاشهد. أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لأمرئ مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه إلا هل بلغت اللهم فاشهد. فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب

بُوہرُ الْإِسْلَام

الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد.

أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وأدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالنقوى ألا هل بلغت.... اللهم فاشهد قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم». وعن الإمام أحمد وما أخرجه البخاري جاء رجل من اليهود إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له إنكم تقررون آية في كتابكم لو علينا عشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، وقرأ عليه الآية 3 من سورة المائدة، فقال له أمير المؤمنين والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

ويستخلص من هذه الدلالات الشرعية كتاباً وسنة تأكيد واضح على الطبيعة العالمية للإسلام وأن الله سبحانه وتعالى واحد وأن الدين واحد وأن رسالة الإسلام موجهة للعالمين أي للناس كافة، وأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله للناس جميعاً ودعوته عامة و شاملة وهو شاهد على من سبقه من الأنبياء والرسل وعلى سائر الأمم يوم القيمة، وأن رسالته صلى الله عليه وسلم جاءت خاتمة للرسالات السماوية السابقة وهي محفوظة من كل تحريف أو تبديل بفضل الله تعالى وفي كفه سبحانه وتعالى إلى يوم الدين، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظم سلطانه والصلوة والسلام على رسوله الأمين. لقد صمد الإسلام منذ نزول الرسالة النبوية المشرفة ولا يزال على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً وكتابه الكريم وسنة رسوله شاهدين خالدين رغم المحن والأزمات بفضل الله تعالى ورعايته ولا يزال الدين الإسلامي منتشرًا في جميع أصقاع العالم شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، والمسلمون يمارسون شعائرهم في العديد من الأقطار والأماكن في القارة الإفريقية، وفي الصين وروسيا مهداً الشيوعية، وفي بلدان آسيا الوسطى، وفي أوروبا وأميركا الشمالية مهد الرأسمالية، وفي أميركا الجنوبية، ولم يكن الإسلام في حاجة إلى «عولمة» لنشره لأن رسالته نزلت للعالمين فكان بطبعته ذا بعد عالمي. وإذا كانت العالمية من خصائص الدين الإسلامي المنزّل من عند الله جل وعلا للعالمين فإن العولمة هي من ابتكار البشر ولا تخلو من اعتبارات سياسية مقنعة تهدف إلى الهيمنة التصدّي للإسلام في الغرب، فبرزت في النصف الثاني من القرن الماضي تحت غطاء «عولمة الاقتصاد» وبأبعاد سياسية مقنعة تهدف إلى الهيمنة على العالم سرعان ما اكتشفت على إثر انتصار العسكري العربي الرأسمالي في الحرب الباردة وانهيار العسكرية الاشتراكية الشيوعية وسقوط جدار برلين، وبأضمحلال الثانية القطبية استأثرت أميركا بخطة قيادة

بِوَهْرَالْإِسْلَام

العالم على أساس الأحادية القطبية.

تعميق عقدة الإسلام لدى الغرب ... ومحمد صلى الله عليه وسلم «أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ الإنسانية».

لقد وجد تيار العولمة «الطرق السيارة للإعلامية» ووسائل الاتصال الحديثة مسخرة لخدمته بدون حواجز ولا حراسة، فاعتمده الغرب كأداة للتتصدي لانتشار الإسلام ومقاومته تحت ستار مقاومة ظاهرة التطرف والإرهاب، بعد ما تم توظيف كل الآليات الإعلامية والاستخباراتية لتضخيم الظاهرة والصاقها بالدين الإسلامي وهو براء من ذلك، ثم جاءت حادثة 11 سبتمبر 2001 فأججت نزعة الكراهية للإسلام وانطلق المغالون في العداء للدين الإسلامي في نشر نظرياتهم الهدامة على الفضاءات الإعلامية وفي مؤلفاتهم مثل (نهاية التاريخ) لعالم الاجتماع الأميركي الياباني فرانسيس فوكوياما، و (صراع الحضارات) للمفكر صموئيل هنتنغتون، ثم ظهر مفهوم القوميات ليدخل العالم مرحلة «خارجية عن الأمريكية»، وأطل فوكوياما على العالم بكتابه الجديد سنة 2012 (بداية التاريخ... منذ أصول السياسة إلى الآن) بعدما تصدعت فلسنته القديمة حول نهاية التاريخ على إثر ما سمي « بشورات الربيع العربي» وما رافقها من صعود لحركات «الإسلام السياسي»، وهو ما قصده من جهته المؤرخ برنارد لويس ببروز التجمعات الاستراتيجية المنافسة للغرب، فزاد ذلك في تعزيز ما سمي بعقدة الإسلام لدى الغرب، ثم جاءت شهادة مايكل هارت العالم الفيزيائي الفلكي اليهودي الأميركي (الأنفصالي العرقي المناصر للبيض) ضمن كتابه «الخلدون المائة» (1978) وفيه «تقييم لأعظم الناس أثرا في التاريخ» معلنا اختياره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على رأس القائمة (وشهد شاهد منهم)، مؤكدا أن «محمدًا عليه السلام هو الإنسان الوحيد الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا، وبعد 13 قرنا من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويا ومتجددا». هذه الشهادة (المجردة الموضوعية) مبنية على ما جاء في الرواية الصحيحة لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة ما قبل نزول الرسالة وبعد نزولها في الأربعين من عمره حيث «امتلاً قلبه إيمانا بأن الله واحد أحد وأن وحيها ينزل عليه من السماء وأن الله قد اصطفاه لتحمل رسالة سامية إلى الناس، والقرآن الكريم نزل على الرسول عليه السلام كاملا وسجلت آياته وهو ما يزال حيا، وكان تسجيله في منتهى الدقة فلم يتغير منه حرف واحد، ... وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ العمق، ولذلك كان أثر محمد عليه السلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه (غيره)، فلم يعرف العالم كله رجلا بهذه العظمة قبل ذلك ». ولا شك أن هذه الشهادة قد شددت من تعزيز ما سمي بعقدة الإسلام لدى الغرب، فلم يستسلم ولم يركن إلى التعامل السلمي مع الإسلام

وال المسلمين، وكانت الحرب بالوكالة التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي تصدياً للإسلام من خلال زرع بذور الفتنة والفرقة بين أبناء الوطن الواحد و مسلمي البلد الواحد، وهي لا تزال مضطربة إلى اليوم على الرغم من الانكسارة التي عرفها تيار العولمة من خلال تحلي أميركا على قيادته في ضل الإدارة الأمريكية الجديدة التي رفعت شعار «أميركا أولاً» لتجد نفسها في صراع مباشر مع قوة جديدة لها مشروعها الاستراتيجي لقيادة فضاء واسع من العالم وهي الصين في إطار مخططها الجيوسياسي «الطريق الجديدة للحرير» الذي سيمثل فرصاً جديدة لتتويع العلاقات الخارجية للكثير من الدول.

في ظل هذه الأوضاع الصعبة التي أضرت بهم في ديارهم ليس أمام المسلمين أكثر من خيار وهو التمسك بدينهم الحنيف وبتعاليمه السمحنة وسلوكياته الحضارية باعتماد سديد القول وحسن الفعل في تبليغ الصورة العقلانية والمعتدلة للدين الإسلامي كما جاءت في القرآن والسنة للطرف الآخر والداعية إلى قيم التعايش الإسلامي لتجسيد عالمية الإسلام، ولكن مع اختلاف اليهود والنصارى أصحاب الديانات السماوية التي سبقت الدعوة الإسلامية مع رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما تيقنوا من أنه المقصود في كتبهم فجحدوا وأعرضوا بغيًا وحسداً، أنزل الله تعالى على رسوله الكريم الآية 64 من سورة آل عمران (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون)، وفي الآية 125 من سورة النحل قال جل وعلا مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بما هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)، وأمام إنكار الكفار لحقيقة الإسلام لله رب العالمين وتعنتهم وتمسكهم بكردهم، أنزل الله سبحانه وتعالى سورة (الكافرون) لتبئرة رسوله والمؤمنين والمسلمين كافة من كفرهم وشركهم وتركهم على دياناتهم وشرائعهم لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون (قل يا أيها الكافرون ... لكم دينكم ولـي دين).

إن الأمة الإسلامية اليوم وهي تواجه ما تواجهه من الفتن المفروضة عليها ومن التحديات والمخاطر في أمس الحاجة إلى الاجتماع على الكتاب والسنة بالتمسك بأمر الله تعالى (ولَا تنازعوا فتفشلوا وتدنهب ريحكم) س. الأنفال 46، تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وعملاً بوصية الرسول الكريم : « تركت فيكم ما إن تمكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنطى »، وبقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يرضى لكم ثلاثة، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جمِعاً وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » (رواه مسلم). أما وقد حسم الله سبحانه وتعالى في أمر العلاقة بين الدين الإسلامي

والاديان السماوية الأخرى عبر سورة (الكافرون) وباعتبارهم حملة رسالات الإسلام للعالمين أي للناس كافة، فعلى المسلمين أن يكونوا فاعلين في حلقات ما يعرف بحوار الأديان والحضارات دفاعاً عن وجودهم وحفظاً عن دينهم ومساهمة في إرساء الأمن والسلام في العالم وهم أصحاب حق في ذلك، هذا مع الإشارة إلى أن مفهوم « عالمية الإسلام » هو مفهوم ديني بالأساس ولا علاقة له بالمفهوم السياسي، وللخروج بتلك الحوارات من ظاهرة الرتابة والدوران في الحلقات المفرغة لا مناص من العمل على تخلص العلاقة بين الأديان من الارتهان بالواقع السياسي القائم المشدود برواسب التاريخ والمحكوم بإرادة الهيمنة المدسوسة في منهج العولمة والاستعمار المقنع.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله:

لا صحة للتصور الخاطئ بأن الإسلام يمثل الحرمان ويناقض الطموح إن الحاجز الوحيد الذي يبعد الناس عن الارتماء في أحضان الإسلام والكرع من مناهله العذبة لهو تصورهم الخاطئ بأن الإسلام يهدى الامتيازات المشروعة ويمثل الحرمان من لذائذ الحياة ويناقض الطموح البشري الوثاب ويمثل في النهاية التجميد والتصدير للطاقات البشرية والكونية مع أن الإسلام في واقعه الصحيح يمثل العكس المطرد لكل هذه الخرافات المزعومة والمفتعلة. تلك الخرافات التي ما كانت لتستقر في الأذهان لو لم ير الناس نماذج منحرفة من سلوك المسلمين ومعاملاتهم وأخلاقهم التي لا يمت شيء منها إلى الإسلام بصلة.

الحديث المأمور عشر : في الأدب العالمي

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم رواه البخاري ومسلم ضيفه»

راوى الحديث هو الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه وقد سبق أن أوردنا بعضاً من جوانب حياته وسيرته الشديدة بسنة رسول الله وتلقها عنه أكثر من سواه من بقية الصحابة فقد كان رضي الله عنه شديد الملازمة لرسول الله لم تشغله عن ذلك فلاحة ولا تجارة كما حظي رضي الله عنه بحب رسول الله ودعائه له بما تحقق له فعلاً بحيث لم يغب عن حفظه كل ما تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الحديث الذي خرجه الإمامان البخاري ومسلم رضي الله عنهما يندرج ضمن أحاديث الأدب والأخلاق التي احتلت حيزاً كبيراً من رسالة الإسلام حتى قال رسول الله (إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق) وبشر من يتخلقون بالخلق الكريم بأن يكونوا من أقرب الناس منه يوم القيمة مجالساً (هل أدلكم على أقربكم مني مجالساً يوم القيمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: أحسنكم أخلاقاً الموطئون أكناها الذين يألفون ويؤلفون) وقد ضرب رسول الله أروع الأمثلة فكان مثالاً للخلق الكريم العظيم واستحق مدح ربه له بقوله جل من قائل (وانك لعلى خلق عظيم) واستحق رسول الله الذي أديبه ربه فأحسن تأديبه وشهد له بهذه المرتبة الرفيعة القرىب والبعيد وقبل البعثة وبعد البعثة، استحق وعن جدارة أن يتخد أسوة وقدوةً لامته فقال في حقه ربه (ولكم في رسول الله أسوة حسنة) وقال على لسانه (قل إن كنت تمتحنون الله فاتبعوني يحببكم الله) وحيثما التفت الإنسان رأى الجمال والكمال في سيرة وخلق رسول الله فلا تجد له نقيصة ولا عترة صلى الله عليه وسلم. فجوهر رسالة الإسلام أخلاق وأدب وإنما يتفاوت الناس بأخلاقهم والسعيد حقاً، والمؤمن حقاً من اقتربت أخلاقه وأدابه من الكمال البشري. فالأخلاق والأدب الرفيع في التعامل مع الناس هما علامة التدين الصادق والصحيح، وهذا الحديث الذي بين أيدينا يؤكد هذا المعنى ويسعى إلى تركيزه وتبنيه والإيقاع به فهم يربط بين الإيمان بالله واليوم الآخر من ناحية وبين أبواب من التصرف والمعاملة تتعلق بالسيرة والأخلاق والأدب والمعاصرة.

وليس المقصود بالإيمان بالله واليوم الآخر ما سبق بيانه في حديث سابق مما يتعلق بمكونات الإيمان وأركانه التي سأل عنها جبريل عليه السلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حيث قال «أخبرني عن الإيمان؟ قال الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» فذلك معلوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِهِ وَهُوَ أَكْبَرُ

من الدين «العقيدة» بالضرورة وكل المؤمنين يسلمون به ولا ينكرونه وإنما المراد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً كاملاً صادقاً قوياً راسخاً، والإيمان عند أهل السنة يقوى ويضعف (ليزدادوا إيماناً) يقوى بالطاعات ويضعف بالمعاصي والذنوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلا وان الإيمان يبلى كما يبلى التوب فجدوا إيمانكم بمقابلة بعضكم ببعض) وكان الصحابة يقول بعضهم لبعض (تعالى نؤمن ساعة) ولبيان أن الإيمان يضعف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن...) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن بي من لا يؤمن جاره بوائقه) أي شره وقال (ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم) إلى غير ذلك من الأحاديث التي تميز بين مكونات الإيمان من عقائد وبين آثار الإيمان في السيرة والسلوك والمعاملة فمن قوي إيمانه بربه ومن كان يرجو لقاء ربها فطبع في نواله وجزائه وخاف من عقابه وعذابه احتسب كل ما يغضب الله من قول أو فعل وأتى ما يرضيه من أقوال وأفعال وتصرفات ومعاملات صالحة وهذا الحديث يستدل على أمر ونهي والنهي يقتضي الكف والتوقف مما لا يريده الله والأمر يقتضي الامتثال بالفعل.

* يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت...) فالإيمان بالله الواحد الأحد العزيز الجبار الذي يمهل ولا يهمل والذي إذا أخذ كأن أخذه أخذ عزيز مقتدر والذي لا ينفع يوم الوقوف بين يديه مال ولا بنون والذي لن يفلت من عقابه وعذابه كائن من كان فعذابه شديد وعقابه لا راد له. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً قوياً راسخاً فما عليه إلا أن يقول خيراً دائمًا وأبداً، فقول الخير شامل لا يمكن تقييده بمجال واحد. والقول الذي وسليته اللسان هو من الأعمال يقول الإمام مالك «من عد كلامه من عمله قل كلامه» واللسان الذي هو وسيلة الكلام اعتبره الإسلام من أسباب سعادة وشقاوة صاحبه والأمر كذلك وطبعي فقد قيل قدماً «المرء بأصغره قلبه ولسانه» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن استهان بما تطرق به الألسنة (تكلتك أمرك وهل يكب الناس في نار جهنم إلا حصاد ألسنتهم؟).

والصمت أفضل من الكلام ففي الصمت انتهاء وفي الكلام إمكانية مجانية الصواب ومراد الله من عباده، فالصمت يمكن أن يكون طاعة وعبادة.

وفي باب حفظ اللسان والصمت وردت آثار لا سبيل إلى الإتيان عليها أو حتى إيراد النذر القليل منها. وقد توسع في ذكر آثار حكم حول الصمت والسكوت وحفظ اللسان الشبرخيتي في شرحه للأربعين نورد منها ما يلي:

سئل ابن المقفع أي شيء انفع للإنسان؟ قال : عقل يولد به قيل فإن فاته ذاك قال أدب يقومه قيل فإن فاته قال: مال يسيره قيل فإن فاته قال صمت يلزمته قيل فإن فاته قال قبر يحبسه.

وكان أبو بكر الصديق يجعل في فمه الحجر ليقلّ كلامه وكذلك عمر بن الخطاب. وروي إن رجلاً سُئل في مرض موطه فقيل له أوصني فقال: إن شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الأطباء في ثلاثة كلمات : أما علم العلماء فإذا

بِحُورِ الْإِسْلَامِ

سُئِلَتْ عَمَّا لَا تَعْلَمُ وَأَمَّا حُكْمُ الْحَكَمَاءِ فَإِذَا كَنْتَ جَلِيسَ قَوْمٍ فَكَنْ أَسْكَنَهُمْ فَإِنْ أَصَابُوكُمْ فَكَنْتَ مِنْ جَمْلَتْهُمْ وَإِنْ أَخْطَلُوكُمْ سَلَمَتْ مِنْ خَطْلَتْهُمْ وَأَمَّا طَبُّ الْأَطْبَاءِ فَإِذَا أَكَلْتَ طَعَاماً فَلَا تَقْرُمْ إِلَّا وَنَفْسُكَ تَشْتَهِيهِ فَانْهُ لَا يَلْمُ بِجَسْدِكَ إِلَّا مَرْضُ الْمَوْتِ.

وَسَئَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْحَسَنِ عَنْ سَلَامَةِ الْقَلْبِ فَقَالَ : بِالْعَزْلَةِ وَالصَّمْتِ وَتَرْكِ اسْتِمَاعِ خَوْضِ النَّاسِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : مِنْ كَثْرِ كَلَامِهِ كَثْرَ سُقْطَهِ وَمِنْ كَثْرِ مَالِهِ كَثْرَ إِثْمِهِ وَمِنْ سَاءِ خَلْقِهِ عَذْبُ نَفْسِهِ.

وَعَنْ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ بِلِغْنِي أَنَّ الْعَافِيَةَ فِي عَشْرَةِ تِسْعَةِ مِنْهَا السُّكُوتُ وَوَاحِدَةُ الْفَرَارِ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : كَانَ الْأَبْرَارُ يَتَوَاصُونَ بِثَلَاثٍ : سُجْنُ الْلِّسَانِ وَالْإِسْتِفْلَارُ وَالْعَزْلَةُ.

وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ كَانَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا يَعْدُ كَلَامَهُ مِنَ الْجَمْعَةِ إِلَى الْجَمْعَةِ.

وَفِي هَذَا الْبَابِ آثَارُ وَأَشْعَارٌ فِي غَایَةِ الرُّوعَةِ وَالْجُودَةِ مُبَثُوثَةٌ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَشَرْحِ الْحَدِيثِ وَفِي كِتَابِ الرِّفَاقَقِ وَالزَّهْدِ.

وَقَدْ اسْتَشَى الْعُلَمَاءُ مِنَ الصَّمْتِ كُلَّ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ وَجَمِيعِ الطَّاعَاتِ الْقَوْلِيَّةِ مِنْ ذِكْرِ وَنَصْحِ وَإِرْشَادِ وَمُجَامِلَةِ وَمُلَاطِفَةِ لِضَيْفِ وَغَيْرِهِ.

«مِنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِكُمْ جَارِهِ» وَقَدْ أَلْحَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَسْنِ الْجَوَارِ وَإِكْرَامِ الْجَارِ وَعَدَمِ مَسَهُ بِالْأَذْى فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «لَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ» وَقَالَ «لَا يُؤْمِنُ بِي مَنْ لَا يَأْمُنُ جَارَهُ بِوَائِقَهُ» شَرْهُ، وَإِكْرَامُ الْجَارِ مِنْ عَلَامَاتِ قَوْةِ الإِيمَانِ وَرِسُوخِهِ وَمِنْ عَلَامَاتِ الْخَشْيَةِ مِنْ عَذَابِ وَعِقَابِ اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَهِيَ تَشْمَلُ كُلَّ أَبْوَابِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فَعْلٍ، وَالْإِحْسَانُ يَكُونُ بِالْبَشْرِيَّةِ فِي وِجْهِ الْجَارِ وَكَفِ الأَذْى عَنْهُ وَبِذَلِيلِ الْمَعْرُوفِ لَهُ وَتَحْمِلُ كُلَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدِرَ عَنْهُ مِنْ أَذْى.

إِنَّ لِلْجَارِ عَلَى جَارِهِ حَقَوقًا كَثِيرَةً فَصَلَّتْهَا أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَرْشَدَتْ إِلَيْهَا الْأَثَارُ الْعَدِيدَةَ فَيُجِبُ عَلَى الْجَارِ أَنْ يَعُودَ جَارَهُ إِذَا مَرَضَ وَانْ يُشَيِّعَ جَنَازَتِهِ إِذَا تَوَفَّ وَانْ يَهْنَئَهُ إِذَا فَرَحَ وَانْ يَوَاسِيهِ إِذَا ابْتَلَى أَوْ أَصْبَبَ وَانْ يَعِينَهُ إِذَا اسْتَعَانَ بِهِ وَلَا يَتَصَوَّرُ مِنْ جَارٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِيمَانًا صَادِقًا كَامِلًا رَاسِخًا قَوْيًا أَنْ يَصْدِرَ مِنْهُ أَذْى لِجَارِهِ بِلِ الْعَكْسِ يَطْلَبُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ لَا يَكْافِيَ جَارَهُ إِذَا أَسَاءَ إِلَيْهِ بِلِ عَلَيْهِ أَنْ يَعْامِلَهُ دَائِمًا وَفِي كُلِّ الْحَالَاتِ بِالْمَعْرُوفِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ قَالَ الْحَسَنُ «لَيْسَ حَسَنُ الْجَوَارِ كَفُّ الْأَذْى وَلَكِنَّ حَسَنَ الْجَوَارِ احْتِمَالُ الْأَذْى».

وَقَدْ كَانَتِ الْمُعَالَمَةُ الْحَسَنَةُ وَالصَّبْرُ وَالْتَّحْمِلُ مِنَ الْأَجْوَارِ لِأَجْوَارِهِمْ سَبِيلًا فِي تَوْبَةِ الْمُسْرِفِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَسَبِيلًا فِي هَدَائِيَّةِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ وَدُخُولِهِمْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ كُلِّ ذَلِكَ بِحَسْنِ مُعَالَمَةِ الْأَجْوَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَتَحْمِلُ أَذْهَمُهُمْ وَالْأَجْوَارُ ذُووُ حَقُوقٍ عَدِيدَةٍ. وَالْجَارُ أَيُّ جَارٍ إِلَّا وَلَهُ عَلَيْنَا حَقُوقًا لَا بُدُّ مِنْ مَرَاعَاتِهَا حَتَّىٰ لَوْ كَانَ هَذَا الْجَارُ غَيْرُ مُسْلِمٍ وَقَدْ كَانَ لَابْنِ عَمِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَارٌ يَهُودِيٌّ فَكَانَ يَسْأَلُ أَهْلَهُ عَنِّدَمَا يَعُودُ إِلَى بَيْتِهِ هَلْ أَعْطَيْتَهُمْ جَارَنَا الْيَهُودِيِّ مَا عَنِّدَكُمْ الْيَوْمَ؟

ويمكن ان يكون هذا الجار مسلماً ومن ذوي أرحامنا فله بكل ذلك حقوقاً لا بد من مراعاتها، وقد يكون جاراً مسلماً وليس بقريب وفي كل هذه الحالات فهو صاحب حقوق لا بد من اعتبارها. وتأكيد الإسلام على حقوق الجار وضرورة اعتبارها ومراعاتها ينبع من كون الإنسان لا بد له أن يعيش مع غيره «الإنسان مدني بالطبع» ولا بد من مراعاة هذا الاعتبار لكي تعيش الناس في كف الوئام. والناس إذا لم ينتهوا إلى مراعاة هذه العلاقة التي لا انفكاك لها عندها فقد يظلم بعضهم البعض وتكون الفتنة وهذا ما لا يرضاه الله لعباده المؤمنين حقاً وصدقًا.

«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وإكرام الضيف من أدب الإسلام وهدي سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وال الكريم كما ورد في الحديث الشريف « قريب من الناس قريب من الله قريب من الجنة » وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالكرم والكرم علامة الفضل وعلامة التصديق بما وعد الله به عباده الكرماء، والإكرام للضيف مادي ومعنوي وهو بالكلمة وبالابتسامة وبالخدمة وهو أيضاً بالجود من الموجود وقد أجاز الفقهاء في إكرام الضيف التوسع في الإطعام ولم يعدوا ذلك من الإسراف والتبذير.

والإكرام للضيف يكون على عمومه وإطلاقه فمن يؤمن بالله واليوم الآخر يكرم ضيفه سواء كان هذا الضيف مسلماً أو غير مسلم وسواء كان أهلاً للإكرام أو ليس أهلاً للإكرام. إن الكرم خلق رضي كان عليه الأنبياء والمرسلون وقد قص علينا القرآن الكريم خبر سيدنا إبراهيم عليه السلام وأوردت كتب التاريخ قصصاً لما أكرم به رسول الله وأنبيلاؤه ضيوفهم ممن لم يؤمنوا بهم وقد كان هذا الكرم سبباً في هداية العديد منهم. والكرم خصوصاً عندما يكون لوجه الله دون تكلف ولا رباء محمدة لصاحبته في الدنيا وهو عمل صالح يجده المتخلق به بين يدي الله يوم القيمة وقد كان العرب معروفين بالكرم يمدحون القائم به ويعملون من شأنه ويعتبرونه من أفضل الناس. فقد قال الشاعر

«أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان»

والكرم يكون بما حضر حتى ولو كان قليلاً إذ الجود من الموجود ولكن ينبغي أن يكون من أفضل الموجود يقول الشاعر:

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

إن الكرم خلق رضي وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كريماً يحب الكريم ويأمر بالكرم تقول كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كالريح المرسلة ينال من كرمه كل الناس، كان كريماً مع القريب ومع البعيد ومع المسلم وغير المسلم ينفق ولا يخاف من ذي العرش إقلالاً وكان عطاوه وبيسطه سبباً من أسباب الإقبال على الدين الذي جاء به من عند الله فبارك وتعالى كريم ويحب الكريم ويأمر بالكرم. فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر لا بد أن يكرم ضيفه الكرم الشامل الكامل.

1 جاء في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة . قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال : النظر في المصحف ، والتفكير فيه ، والاعتبار عند عجائبه ».

رمضان كريم... وهذا الفرآن العظيم

بقلم الأستاذ: صالح العود

كُلُّما أهْلَ وحْلٌ شَهْرُ رَمَضَانَ: هَذَا الزَّاَئِرُ الْكَرِيمُ، اسْتَقْبَلَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتِ: شَبَّيَا وَشَبَّانَا.. مَرْضِي وَعَجَزْ، اسْتَقْبَالًا حَسْنَا، وَيَهْرُونُ إِلَى الْمَصَاحِفِ يَقْرَؤُونَهَا بِجَدٍ وَاجْتِهَادٍ: آتَاءَ الْلَّيلَ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ رَغْمَ الْجُوعِ وَالْعُطْشِ أَحْيَانًا، مُسْتَمْتَعِينَ بِآيَاتِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ، فَإِنَّ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ حَلاوةَ رَوْحِيَّةٍ، وَانْتَعَاشَا نَفْسِيًّا، وَخَلَاةَ فَكْرِيَّةٍ، لَأَنَّهُ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزِيزٍ وَجَلِيلٍ، يَجْلُو الْبَصِيرَةَ وَالْبَصْرَ^١، وَلَيْسَ كُسَائِرُ الْكِتَابِ الَّتِي وَضَعَهَا الْبَشَرُ، بَلْ هُوَ «وَثِيقَةٌ» مَقْدَسَةٌ... خَالِدَةٌ... تَخَاطِبُ الْإِنْسَانَ أَيْنَمَا كَانَ فِي أَنْحَاءِ الْعَمَورَةِ.

وَقَدْ وَجَدَتْ أَنَّ عَلَمَاءَ الْإِسْلَامِ (عُومَمًا)، وَعَلَمَاءَ الْحَدِيثِ (خَصْوَصًا) مِنْ يُؤْلِفُ، حَرَصُوا فِي مُؤْفَاتِهِمُ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ عَلَى السَّوَاءِ، إِلَى تَخْصِيصِ أَوْ ضَعْفِ (بَابٍ) أَوْ (فَصْلٍ) عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: يَشْتَمِلُ عَلَى فَضَائِلَهُ، وَفَضَائِلَ بَعْضِ سُورَهُ، وَعَنِ آدَابِهِ وَاحْكَامِهِ وَأَخْلَاقِهِ، وَدُونَكَ كِتَابٌ (مَشْكَاهَةُ الْمَاصَابِيحِ / لِلْأَمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَطِيبِ التَّبَرِيزِيِّ)، وَقَدْ كَانَ مَقْرَرًا عَلَيْنَا كُلَّهُ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْتَّعْلِيمِ الْجَامِعِيِّ قَبْلَ سَنَةِ التَّخْرِيجِ فِي بَلَادِ شَبَهِ الْقَارَةِ الْهَنْدِيَّةِ، فِي جَزْءِهِ الْأَوَّلِ الْمُطَبَّوِعِ - (فِي ثَلَاثَةِ مَجَلَّدَاتٍ ضَخْمَةٍ) -: كِتَابٌ «فَضَائِلُ الْقُرْآنِ»، وَهُوَ فَصْلٌ طَوِيلٌ لِلْغَایَةِ يَقْعُدُ فِي أَرْبَعينِ صَفْحَةٍ.

وَهُذَا إِلَامُ النَّوْوِيُّ - أَحَدُ أَئِمَّةِ بَلَادِ الشَّامِ الْمَشَاهِيرُ - أَلَفَ كِتَابًا مُختَصِّراً مِنْ يَشْتَغلُ بِالْقُرْآنِ، بِعِنْوَانِ (الْتَّبِيَانُ فِي آدَابِ حَمْلَةِ الْقُرْآنِ)، وَزَعَ ابْجَاثَهُ عَلَى عَشْرَةِ أَبْوَابٍ، وَقَدْ خَصَّ الْبَابَ السَّابِعَ مِنْهُ بِعِنْوَانِ لَاقْتَ، هُوَ (فِي آدَابِ النَّاسِ كُلِّهِمْ مِنْ الْقُرْآنِ). وَكُلُّنَا يَعْلَمُ، أَوْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمُ، أَنَّ مَدَدَ نَزْولِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى رَسُولِنَا الْكَرِيمِ مَا بَيْنَ مَكَةَ وَالْمَدِينَةِ: بِدَأِيَّةٍ وَنَهَايَةٍ: كَانَتْ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ وَالضَّبْطِ: اثْتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً، وَشَهْرِيْنِ، وَخَمْسَا وَعَشْرِينَ يَوْمًا، وَعَدَدُ آيَاتِهِ: سَتَّةُ آلَافٍ وَمَائَتَانِ وَسَتْ وَثَلَاثُونَ آيَةً، تَتَظَمَّنُهَا: مَائَةً وَارْبِعَ عَشْرَةً سُورَةً، مِنْهَا ثَلَاثَ وَعَشْرَونَ سُورَةً مَدِينَةً، وَاحْدَى وَتَسْعَونَ سُورَةً مَكِيَّةً.

قَالَ إِلَامُ أَبُو حَنِيفَةَ النَّعْمَانِ رَحْمَهُ اللَّهُ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي السَّنَةِ (مَرْتَيْنِ)، فَقَدْ أَدِيَ حَقَّهُ، لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّةً، وَفِي السَّنَةِ الَّتِي تَوَفَّ فِيهَا مَرْتَيْنِ.

وَقَالَ شِيخُ شِيَوخِنَا: الْمَحْدُثُ عَبْدُ الْحَقِّ الدَّهْلَوِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: (مَا ثَبَّتَ مِنَ السَّنَةِ فِي أَشْهَرِ السَّنَةِ / ص162): رُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَخْتَمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِحدَى وَسَتِينَ خَتْمَةً: ثَلَاثَيْنِ فِي الْلَّيَالِيِّ، وَثَلَاثَيْنِ فِي الْأَيَّامِ، وَوَاحِدَةً فِي التَّرَاوِيْحِ. وَقَدْ رُوِيَ فِي كِتَابِ الْمَوَاهِبِ الْلَّذِنِيَّةِ مِثْلَ ذَلِكَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ.

وَالْيَوْمُ، وَنَحْنُ نَعِيشُ عَصْرًا جَدِيدًا، فَيَهُ اشْتَاءُ اللَّهُ تَفَاؤلٌ كَثِيرٌ غَيْرُ عَسِيرٍ، عَنْ كُلِّ الْفَئَاتِ: سَوَاءَ فِي دِيَارِ الْعَرَبِ، أَوْ بِلَادِ الْغَرْبِ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي الْقَرْوَنِ الْخَوَالِيِّ تَخْشَى اِنْتَشَارَهُذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، بِسَبِّبِ «صَيْحَاتِ» اِنْذَارِ، أَوْ «صَعْقَاتِ» اِدْبَارِ، إِلْقَاهَا عَدِيدٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَالْمُتَفَرِّنِجِينَ، وَإِذَا بَتَّلَكَ السَّحْبُ تَبَخَّرُ وَتَقْسِمُ الْيَوْمُ، وَيَحْلُّ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فِي عُفْرِ دِيَارِهِمْ: بِرْدًا وَسَلَاماً، بِشَكْلِ سَرِيعٍ، يَبْعَثُ عَلَى الْدَّهْشَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَتَجْدَدُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ حَاضِرًا بِإِدَاعِ: فِي الْمَكَتبَاتِ التَّجَارِيَّةِ، وَفِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَصَلِيَّاتِ، وَالْمَحَاظِرِ وَالْمَدَارِسِ، فَضَلًا عَنْ مَدَى حَرْصِ النَّاسِ: مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الَّذِينَ

يرتدون دور العبادة فيها، على ختمه في صلاة التروایح ليلة السابع والعشرين من رمضان.. إنها «عظمة» لا توصف، وهي كما أرى «كرامة» هامة، للجيال المتعاقبة، التي تعيش في بلاد الغرب، تحقيقاً لوعد الله القاطع «أنا نحن نزّلنا الذكر وانّا لَهُ لحافظون». ومن عجب، أن جامعة ميونخ في المانيا اقامت قبل الحرب العالمية معهداً، مهمته: البحث فيما يتعلق بالقرآن، فعمد القائمون عليه إلى جمع نصوصه (الخطية والمطبوعة) من كافة أنحاء العالم، حتى تجمعت بين أيديهم «آلاف» مؤلفة من نسخه، وكان هدفهم قاسياً، وهو: أن يقارنوا بين نصوصه في مختلف النسخ، ولكن النتيجة التي اذهلتهم هي: انهم لم يجدوا سوى الفوارق في نوعية الخطوط بين بلد وآخر، أما «النص القرآني» فكان كما هو كما في اقدم نسخة وفي احدثها، وبالتالي فما كان إلا أن بهت الذي كفر.

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الإنسان بدون دين سماوي حيوان مفترس

ان الإنسان بدون دين سماوي هو حيوان مفترس أو حيوان محتاب يمكنه أن يحقق كل شيء لجسده ولن يحقق شيئاً لعقله وروحه وما الإنسان الحق إلا ذلك المزيج المنسجم المتالف من تلك القوى الثلاث أما إذا طفت واحدة منها على أختها فذلك هو الإرتکاس والشلل والنشاز.

النَّهْدَادِيَّةُ وَالنَّهَارَفُ وَالْمَوَادُ

بِقَلْمِ فَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْإِمَامِ الْأَكْبَرِ الدَّكْتُورِ أَحْمَدِ الطَّيْبِ شِيخِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

الْتَّعْدُدِيَّةُ بَيْنَ النَّاسِ وَالْخَلْفَيْهِمْ طَبِيعَةُ قَرْرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَرَتَّبَ عَلَيْهَا قَانُونَ الْعَلَاقَةِ الدُّولِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ «الْتَّعَارُفُ» الَّذِي يَسْتَلِزُمُ بِالصُّرُورَةِ مِبْدَأِ الْحَوَارِ مَعَ مَنْ نَفَقَ وَمَنْ نَخَلَفَ مَعَهُ، وَهَذَا مَا يَحْتَاجُهُ عَالَمُنَا الْمُعَاصِرُ -الآن- لِلْخُرُوجِ مِنْ أَزْمَاتِهِ الْخَانِقَةِ، وَمَنْ هُنَا كَانَ مِنَ الْصَّعُبِ عَلَىِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَسَوَّرَ صَبَّ النَّاسِ وَالْأَمَمِ وَالشَّعُوبِ فِي دِينِ وَاحِدٍ أَوْ ثَقَافَةٍ وَاحِدَةٍ، لَأَنْ مَشِيَّةَ اللَّهِ قَضَتْ أَنْ يَخْلُقَ النَّاسَ مُخْتَلِفِينَ حَتَّىٰ فِي بَصَمَاتِ أَصَابِعِهِمْ، يَقُولُ الْقُرْآنُ: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أَمَةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ»، وَالْمُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ لَا يَرْتَابُ فِي أَنَّهُ لَيْسَ فِي إِمْكَانِ قِوَّةٍ وَلَا حِضَارَةٍ أَنْ تُبَدِّلَ مَشِيَّةَ اللَّهِ فِي اخْتِلَافِ النَّاسِ، وَيَنْتَظِرُ إِلَى النَّظَرِيَّاتِ الَّتِي تَحْلِمُ بِجَمْعِ النَّاسِ عَلَىِ دِينِ وَاحِدٍ أَوْ ثَقَافَةِ مَرْكُزِيَّةٍ وَاحِدَةٍ نَظَرَتِهِ إِلَىِ أَحْلَامِ الْيَقْظَةِ أَوِ الْعَبْثِ الَّذِي يُدَاعِبُ أَحْلَامَ الْطَّفُولَةِ. وَيُمْكِنُ هُنَا أَنْ أَلْفَتَ النَّاظِرَ إِلَىِ أَمْرَيْنِ لَا يَمْكُنُ تَفَادِيهِمَا فِي أَىِّ تَلَاقٍ بَيْنِ الْشَّرْقِ وَالْغَربِ، وَعَلَىِ أَىِّ مَسْتَوَىٰ جَادَ مِنْ مَسْتَوَيَّاتِ هَذَا التَّلَاقِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: الْأَيْةُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي يَرْدِدُهَا الْمُسْلِمُونَ - رِجَالًاٌ وَنِسَاءً وَأَطْفَالًا - صَبَاحًا مَسَاءً، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَقْفِينَ وَالْمُفَكِّرِينَ الْغَرَبِيِّينَ يَحْفَظُونَ فَحْواهُمَا عَنْ ظَهَرِ قَلْبٍ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَرَدَّدَ عَلَىِ مَسَاعِهِمْ فِي مَحَافِلِ الْحُوَارِ وَمَنْتَدِيَّاتِهِ، هَذِهِ الْأَيْةُ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأَنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفَوْا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ بِحُبِِّهِ». وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا - لَا يَشَدُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ - يَفْهَمُونَ مِنْ الْأَيْةِ أَنَّ التَّعَارِفَ الْمُنْصَوصَ عَلَيْهِ فِي الْأَيْةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ الْهُدُفُ أوِ الْغَايَا الْإِلَهِيَّةِ الْعُلِيَاِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ النَّاسُ مِنْ أَجْلِهَا.. وَالْتَّعَارِفُ يَعْنِي التَّعَاوُنَ وَتِبَادُلَ الْمَنَافِعِ، وَلَا يَسِّرُ الْصَّرَاعُ وَلَاِ الْإِقْصَاءُ وَلَاِ التَّسْلِطُ، وَإِذَا كَانَ لِقَاءُ التَّعَارِفِ الْبَشَرِيِّ هُوَ الْقَانُونُ الْإِلَهِيُّ لِلْعَلَاقَاتِ الدُّولِيَّةِ بَيْنِ النَّاسِ أَفَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّهُ أَمْرٌ يُمْكِنُ تَحْقِيقَهُ إِذَا مَا خَلَصَتِ النَّوَايَا وَصَحَّتِ الْعَرَائِمُ؟

وَشِيوخُ الْأَزْهَرِ فِي أَرْبِعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِيِّ سَبَقُوا الْجَمِيعَ فِي التَّبَيِّهِ عَلَىِ هَذَا الْحَلِّ الَّذِي لَا حَلٌّ غَيْرُهُ، حِيثُ نَادَى الشَّيْخُ مُحَمَّدُ مُصْطَفَى الْمَرَاغِيُّ (ت: 1946م) شَيْخُ الْأَزْهَرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالْزَّمَالَةِ الْعَالَمِيَّةِ بَيْنِ الْأَمَمِ كَافَةً لِاحْتَوَاءِ صَرَاعَاتِ الْأَمَمِ وَالشَّعُوبِ، وَذَلِكَ فِي كَلْمَتَهُ أَمَامَ مؤَتمِرٍ عَالَمِيًّا لِلْأَدِيَانِ عَقِدَ بِلَندَنَ سَنَةَ 1936م. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ - بِعِشْرِ سَنِينَ - الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عِرْفَةُ الَّذِي كَتَبَ فِي مجلَّةِ الْأَزْهَرِ فِي عَامِهَا الْعَاشِرِ سَنَةَ 1946م مَقَالًا نَادَى فِيهِ بِحُسْنِ الْوَدِّ الْعَالَمِيِّيَّةِ بَيْنِ الْإِسْلَامِ وَالْغَربِ، وَقَدْ دَفَعَهُ لِكَتَابَةِ هَذَا النَّداءِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّانِيَةُ آنذاكَ مِنْ اخْتِرَاعِ الْقَبْلَةِ الْذَّرِيَّةِ وَالْأَسْلَحَةِ الْفَتَاكَةِ، وَقَدْ حَذَرَ مِنْ فَتَاءِ

العالم كله، إذا استعمل المحاربون هذه المخترعات، وانتهى إلى أنه لا مفر من التقريب بين الشعوب ومن إزالة أسباب الخلاف والبغضاء، ومن أن تصبح الأرض كلها مدينة واحدة، وأن يكون سكانها جميعاً كأهل مدينة واحدة. وقد عُولَ الشِّيخ كثيراً في دعوته لهذا التعاون العالمي على وجوب أن يفهم الغرب الإسلام، وأن يفهمونه مدنية الغرب، وأنهما إذا تفاهما زال ما بينهما من سوء ظن، وأمكن أن يعيشَا معاً متعاونين، يؤدى كل منهما نصيبه من خدمة الإنسانية، ودعا علماء المسلمين إلى ضرورة أن يبينوا مدنية الغرب على حقيقتها، ليحل التعارف محل التناكر، ويحل السلام محل الخصم.

إن الدعوة إلى الله في دين الإسلام محددةٌ بـأن تكون بطريق الحكمة والحوار الهدائى الذى لا يحرّج الآخر ولا يسىء إليه أو إلى عقيدته، وييرأ الإسلام في نشر عقیدته بـقوّة السلاح أو الإكراه أو الضغوط أياً كان نوعها حتى لو كانت ضغوطاً في شكل إغراء بالمال أو الجاه أو شراء القلوب والعقول؛ لأنَّه كما يقرُّ القرآن: «لا إكراه في الدين» كما يقرُّ: «فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكُفِّرْ» ودور نبىُّ الإسلام كما حددَه له القرآن الكريم هو دور المبلغ والموضح لطريق الله، وأنَّه لا يسيطرُ على الناس، ولا يُكرهُهم، وإنما يدعُهم لله بعد أن يُبيّن لهم طريق الحق وطريق الضلال، قال تعالى: «إِنَّ عَلَيْكُمْ إِلَّا ابْلَاغُ»، «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسِيَّطِرٍ»، «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ». والنّاس بالنسبة للمسلم إما أَخٌ في الدين أو نظيرٌ في الإنسانية، وأنَّ المسلم فيما يقرُّ نبىُّ الإسلام هو «مَنْ سَلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِه وَيَدِه»، أي هو من يُسَالُ الناس، ولا يُلْحِقُ بهم أَذى لا يُلْسانُه ولا يُبَدِّيه، ويحرّم الإسلام إلَّا حَقَّ الأَذى بـأَيْمَانِ الأديان السماوية بوجهه خاصًّ، لدرجة أنَّ المسلم الذي يؤذى أهْل الكتاب بـخاصمه نبىُّ الإسلام يوم القيمة، كما يتبَرَّأُ الله ورسوله منه في الدنيا والآخرة. إنَّ الأزهر الشريف يبذل جهوداً دوليةً لترسيخ السلام والأمن حول العالم، ويحرص على الانفتاح وال الحوار مع جميع المؤسسات الدينية العالمية، والتلاقي معها داخل مصر وخارجها، والدعوة إلى السلام بين قادة الأديان وجميع المجتمعات الإنسانية، والعمل بهذه الدعوة يداً واحدةً من أجل نبذ كل أسباب التّعصب والكراهيّة، وترسيخ ثقافة المحبّة والرحمة والسلام والحوار بين الناس.. أسأل الله عز وجل أن يسهم هذا الجهد بشكل فاعل في العمل على تحقيق السلام للبشرية جماعة.

ضرورة نطوير أسلوب افذاك الشباب وارشادهم

بقلم فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يلمس الماهتمام بقضايا المسلمين في هذا العصر الحاضر اموراً كثيرة تستدعي الاهتمام وتستوجب الحل السريع والدواء الناجع اذ بدون حلها ومعالجتها قد نخسر جيلاً كاملاً من اجيال امتنا المليئة بالخامات المفتقرة إلى السبک والصہر فقط، وان الهواتف التي تصرخ من بوطننا بوجوب القضاء على التخلف بسرعة لنجح علينا بان نكون حكماء في معرفة اصل التخلف وعشة الذي باض فيه وفرخ لأن عدم استئصال الجرثومة الاصلية كثيراً ما يعرض العلاج إلى عدم النجاعة ويجعل حالة البرء والإبلال حالة عرضية لا تثبت ان يبخرها انتلاق الداء من جديد بعد مراوغة وتضليل وكم رأينا من مصابين اودت بحياتهم النكسة بعد ان هزمت ابدانهم القوية المنيعة حجاف المرض الزاحفة من كل جانب.

ولست مخطئاً اذا قلت ان الفئة التي يجب ان ننظر إلى المستقبل من خلالها انما هي محصورة في الشباب الذي سيصبح بعد سنوات ماسكاً بالمقود محتملاً لمنابع الحياة ومصاير الاجيال، ولقد فتح هذا الشباب عينيه على الوجود فالقى امته حيث هي والفى غيرها يطاول الكواكب ويناطح الجوزاء فلا تشريب عليه اذا ثار وغضب وز مجرolle الف عذر اذا اشاح بوجهه عن حاضر امته وماضيها مادام لم يجد من يلتجه ضد تلك الامراض التي وجدت من جسمه وعقله ثرى طيباً ومرتعاً خصياً والمسؤولية ليست مسؤوليته لانه (يولد الولد على الفطرة وابوه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) بل هي مسؤولية من بايديهم الحل والعقد وفي مقدمتهم رجال الفكر الذين اثروا تجاربهم وسبروا اغوار الحياة وقلبوا بوطنها وظواهرها وفرقوا بين الحضارة في بهارجها الخلابة، هؤلاء المتعقون سواء ا كانوا اباء أم مسؤولين أم رجال فكرهم وحدهم الذين سيحملهم التاريخ المسؤولية ان تاه الجيل الصاعد وضل او سيرفعهم إلى مقام الخلود ان اعتدل ورشد.

وليس هناك من شك في ان اي لون من الوان الحضارة والعلم والتقدم لا يمكن ان يؤخذ باعتبار انه كل شيء في الحياة ويضحى في سبيله بجميع القوى الروحية ولا يمكن ان يفهم ايضاً بأنه لا يعيش إلا مفرداً وان قلوب العباد وعقولهم لا تتسع للعلم والايمان وان ابدانهم لا تقوى على العبادة والعمل في المخابر والمصانع.

وان التسلح بالإيمان والأخلاق والمعاملة الكريمة ضرورة من ضروريات الحياة البشرية وبدونها يصبح الكون والانسان معرضين للخراب والهلاك، ولقد ارسل المسلمين وقام المصلحون من بعدهم لافهام الإنسانية هذه المعاني السامية الضرورية غير انها كثيراً ما تربك رؤوسها وتطفى (ان الإنسان ليطغى ان راه استغنى) وفي هذه الحالة تمنى الإنسانية بالخيبات المريرة وتصاب باليته والتبليل. ونحن المسلمين اليوم على عتبة هذا التبليل والتيه اذا لم يقم دعامة الإصلاح

بِهِ وَإِلَيْهِ إِسْلَامٌ

وانصار الخير من باليديهم الوسائل الضرورية والعلقية بحملات واسعة مركزة موقفة تدرأ عن امتنا غوايل الشر والفتنة وتحملها على الطريق المعد السليم. ولقد كانت طريقة الوعظ والارشاد إلى زمن قريب وما تزال إلى اليوم في اوساط معينة هي الطريقة الوحيدة التي يقع بها تلافي الاخطار الاجتماعية الداهمة في فـ ائمة المساجد وخطباء الجماعات محذرين يستعملون طريقة الترغيب والترهيب ويسوقون الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والقصص التاريخية لتحريك الهمم الدينية النائمة واقصاء صور الغواية والضلال والفسق، غير ان مقتضيات الحياة العلمية العصرية اليوم اوجبت ان تتلون اساليب التوعية وخصوصا لدى الشباب بالوان جديدة هي وحدها التي تجدى معه وتفيد.

لقد اصبح شباب المسلمين في كل مكان يفكرون بعقلية غربية ويتكلّم بلسان اجنبي وتبهرون صور الحياة التي لا تمت إلى حياة قومه بصلة ومن هنا كان لزاما علينا ان نأخذ حذرنا من جميع الامور المستوردة ونحاول جهد المستطاع ان نصبفها بالواننا ونكيفها بهواتنا نظير ما فعل الغرب يوم ان اخذ عنا ما اخذ من علوم وفلسفات وصناعات.

فلدى الأمة الإسلامية اليوم عقول جباره آمنت بالعلم وبالدين وتحصصت فيما وجمعت بينهما ولديها وسائل اعلام كبيرة وعظيمة . فلماذا لا يهب المتضلعون في الفلسفات والعلوم والدين من سباتهم ويكتبوا لابنائهم الحيارى ما يزيل حيرتهم ويشفي غليلهم؟.

ولماذا لا تجند وسائل الاعلام لهذا الغرض الاهم الذي بدونه لا يثمر عمل ولا ينجح لنا قصد؟

ان لهفة الشباب وحيرته وحرقته لتوشك ان تقلب تمزقا وضياعا وعندئذ يتسع الخرق على الواقع وتندم ولا ت ساعة مندم.

ان الاخلاص للامة وللدين ليفرضان على علمائنا وعلى اصحاب المسؤولية فيما ان يضعوا اليدي في اليد وان يعملوا بكل جد ومحابرة على اجتذاب شباب امتهם من مخالب الفتن وان لا يتركوهم نهبا مقسما بين المذاهب الهدامة والنظريات المادية الواسحة وبين ايديهم من وسائل الاعلام السمعية والبصرية ما يكفل لهم نجاح الغاية وفي صدورهم وعقولهم ما يهد الشبهات ويوضح الطريق.

فالى متى تبقى وسائلنا الاعلامية غير مستغلة في ما هو أول هدف من اهدافنا؟ والى متى تبقى المعرف مخزونة في الصدور والعقول لا يسمح لها بان ترى النور وان تنشر على المفترقين اليها وتملا بها المجالات والكتب والنشريات الدورية والصحف السيارة؟

انه لمن العار على الإنسان المكرم ان يجوع ويجانب الطعام وان يظمأ وفوق ظهره الماء انه بذلك يكون مصادقا لقول الشاعر الحكيم:

كالعييس في البيداء يقتلها الظماء و الماء فوق ظهورها محمول او يكون مصادقا لقول الله تعالى: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) صدق الله العظيم.

الشيخ محمد الصادق ابن الحاج محمود بسيس 1978 / 1914

بقلم الشيخ محمد توفيق بوديدح

هو الشيخ الاستاذ محمد الصادق ابن الحاج محمود ابن محمد بسيس الشريف ولد بمدينة تونس في 14 ذي الحجة 1332 هجري الموافق 2 نوفمبر 1914 ميلادي. تلقى تعليمه بجامع الزيتونة المعمور. احرز على شهادة التحصيل سنة 1942 م. ثم شهادة العالمية في العلوم الشرعية وكان الى جانب هذا يحضر دروس الخلدونية حيث تلقى دروساً ومحاضرات في الأدب والتاريخ والجغرافيا يقوم بها أساتذة زيتونيون ومدرسوون ورجال فكر مشهود لهم بالكفاءة العلمية وكان يحضر بالمدرسة العليا للآداب العربية بسوق العطارين وكان من أساتذتها المؤرخ الكبير السيد عثمان الكعاك رحمه الله ومحمد العربي الكبادي رحمه الله الذي تلمنذ عليه صاحب الترجمة ولازمه في دروسه وفي مجالسه الخاصة كما كان متبعاً للحركة الفكرية والأدبية في المشرق والمغرب وكان له نشاط مع جمعية العلماء الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله تعالى.

باشر التدريس بالجامع الاعظم جامع الزيتونة المعمور كمدرس من الطبقة الثانية بالفروع الزيتוניתية بالعاصمة وتخرجت على يديه جموع من الطلبة ودرس بكلية الزيتونة للشرعية واصول الدين سنة 1962 حين تولى عمادتها العلامة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله حتى احيل على التقاعد سنة 1975 وكان يلقي دروساً في الوعظ والارشاد بعدة جوامع وكان يشرف على مجلس الحديث النبوى الشريف بضاحية اريانة التي سنتها الشیخ العلامہ سیدی محمد بن عمر الزغوانی رحمه الله تعالى منذ ستينيات القرن الماضي وما زالت مستمرة الى يومنا هذا برئاسة الشیخ القاضی محمد الكامل سعادۃ الامام الثاني بجامع الزيتونة المعمور أطّال الله عمره وكان الشیخ محمد الصادق بسيس وطنياً غيوراً مدافعاً عن المقومات الثقافية ولا سيما الدين واللغة وقاوم الحملة الصليبية التي بدأت منذ انتصاب الحماية الفرنسية ورزق به في السجن المدني أثر حوادث 9 افريل 1938. والقى عليه القبض مع مجموعة من السياسيين وبقي في السجن مدة ثلاثة أشهر. وكان رحمه الله مؤمناً بالوحدة العربية وخاصة بالالتحام بين تونس والجزائر وكان بجتمع بالطلبة الجزائريين الزيتونيين المقيمين بتونس وبيث فيهم الروح الوطنية وكانت له مراسلات ولقاءات مع زعماء الحركة الاصلاحية في الجزائر وخاصة مع الشیخ البشیر الابراهیمی رحمه الله رحمة واسعة.



وكان مؤمنا بقضية فلسطين وكان مؤمنا يضم كل الدول العربية للجامعة العربية ومن اقواله : أنا مؤمن بالجامعة العربية ولو كفر الناس قاطبة : وكتب في جريدة «الزهرة» بتاريخ 4 ربیع الثاني 1368هـ الموافق 2 فيفري 1949 يقول الشيخ محمد الصادق بسيس: أنا مؤمن بالجامعة العربية كمبدا وفكرة اختمرت في العقول ونضجت في النفوس بمعنى الانقلاب الاجتماعي وبتأثير الناموس الكوني وبيان التفاعل بين الماضي والحاضر من التاريخ القديم والجديد من الحياة ويسبب الشعور الطبيعي بالتكلل والتعاون بين اعضاء الجسد العربي في عصر تكمل فيه الاقوياء وتتوفرت فيه الاواصر والرابطات واشتد الاحتياج إليها بما أنها تجرعنا مراة الانقسام والتزاوج.

تضامن الشيخ محمد الصادق بسيس مع الشعب الفلسطيني:
كان رحمة الله ملتزماً بالقضايا العربية والاسلامية وبالخصوص قضية فلسطين حتى عرف بالشيخ الفلسطيني وقد تأسست «جمعية أغاثة منكobi فلسطين» برئاسة الشيخ احمد بن ميلاد وبمعية السادة «محمد الصادق بسيس» (كاتب العام) ومحمد المقدم (أمين مال) وابراهيم ونيش ومحمد العربي (اعضاء) حيث تولت جمع التبرعات المالية لراسلها إلى الامين العام للمؤتمر الاسلامي بالقدس الشريف الشيخ محمد الامين الحسيني.
توفي الشيخ محمد الصادق بسيس في 10 ذي القعدة 1398 هجري / 12 اكتوبر 1978 ميلادي وابنه الدكتور محمد اليعلاوي وزير الثقافة آنذاك «كان الشيخ محمد الصادق بسيس في عز شبابه وحتى في أيامه الأخيرة مثالاً للحيوية الفكرية والجرأة الكلامية فخاض جملة من المعارك الادبية والنقدية دفاعاً عن مفاهيم الاسلام المصنف، ومنتصراً للقضايا الاسلامية الجوهرية التي تتجاهلها بعض الاقلام الشابة، في ردود تسمى بصفاء الرأي وعمق الایمان وحدة المحادلة» :

رحم الله شيخنا محمد الصادق بسيس رحمة واسعة واسكنه فراديس الجنان
وتحشره مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وأنا لله وأنا لله راجعون.

المراجع

- 1) كتاب ترجم المؤلفين التونسيين الشيخ محمد محفوظ : دار الغرب الاسلامي بيروت . 1982
 - 2) محمد الصادق بسيس حياته واثاره دراسة ومحاترات الاستاذ أبوزيان السعدي طبع وزارة الثقافة تونس 2002.

الشيخ الهادي بلحسن (1910-1984) «شيخ الطريقة الشاذلية»

بقلم الاستاذ محمد العزيز الساحلي

هو المنعم المبرور فضيلة الشيخ الهادي بن الشاذلی بحسن الإمام الخطيب وشيخ الطريقة الشاذلية بتونس ولد يوم 11 أفريل 1910 بمدينة تونس في بيت علم ومجد وشرف وقد اعتبرت بتربيته والده ورباه تربية إسلامية أصيلة، وبعدهما حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية بالكتاب انخرط في سلك تلامذة جامع الزيتونة المعهور لمواصلة دراسته فتفرغ لطلب العلم بكل وجד وانتقل بنجاح من سنة إلى أخرى من سنوات التعليم الزيتونى إلى أن احرز شهادة التطويع، فانتصب للتدريس، وبعد وفاة والده المرحوم الشيخ الشاذلی بحسن سنة 1952 الذي كان شيخاً للمغاربة الشاذلية خلفه الفقيد في نفس الخطة مع اضطلاعه بالأمامية والخطابة بجامع باب الجزيرة.

مع العلم انه في عهد الدولة الحسينية قدم البابي حمودة باشا في 1206 هـ / 1791 م خطيباً لهذا الجامع العالم الشيخ عمر بن المؤدب شيخ المغاربة الشاذلية، وابن شيخها، ثم آلت إلى اعقابه من بعده، وكل من تولى منهم امامية الجامع وخطبته، تولى مع ذلك في وقت واحد مشيخة الطريقة الشاذلية، حتى غلب عليهم لقب بحسن الذي هو اسم الإمام الشاذلی، وتتوسي لقبهم الأول (المؤدب) (انظر كتاب تاريخ معلم التوحيد للمؤرخ محمد بن الخوجة تحقيق وتقديم الاستاذين حمادي الساحلي والجياني بن الحاج يحيى).

والشاذلية نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلی، ظهرت هذه الطريقة بشاذلة قرب تونس، وتوفي صاحبها رضي الله عنه سنة 656 هـ / 1258 م، يقول عنه الإمام البرزلي في كتابه «الفتاوى ج 6، ص 444»: «أبو الحسن الشاذلی كان من خيار هؤلاء الشيوخ (اي المتصوفة) وأفضلهم معرفة وحالاً، وحسنهم اعتقاداً و عملاً، واتبعهم للشريعة، وакثراهم تعظيمها لكتاب والسنة... وهو من جمع العلم والدين والتتصوف والصلاح، وهو من أهل الحقائق الباطنة. حاز علم الاحكام ثم انتقل إلى هذه الطريقة، فحصل له شرف الطريقيتين العلمية والحكمية». وفعلاً فان القارئ المتمعن في احزاب الإمام الشاذلی يلاحظ أنها كلها تتزيء وتمجيد وتقديس لله عز وجل وهي متماشية مع أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها، لذلك نلاحظ أن الكثير من علماء الزيتونة الاعلام وثلة من الاساتذة كانوا وما زالوا يتربدون على المقام الشاذلی للاستماع إلى الأدكار والادعية التي تلقى فيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِحُبِّهِ وَبِتَوْلِيَّهِ

لقد تفرغ فضيلة الشيخ سيدى الها迪 بحسن طيب الله ثراه للاحاطة والاعتناء بالمقام الشاذلي منذ تعيينه سنة 1952 شيخاً للطريقة الشاذلية والى تاريخ وفاته سنة 1984، فكان يشرف صبيحة أيام السبت على قراءة احزاب الإمام الشاذلي واذكاره ويتولى بنفسه القاء الأوراد والادعية في نهاية الموكب الديني، وفي فصل الصيف يشرف شيخنا أيضاً كل يوم خميس بعد صلاة العشاء وتلاوة ما يتيسر من الذكر الحكيم طيلة 14 أسبوعاً على قراءة احزاب والاذكار، وفي ليلة ختم القرآن الكريم يحرص الفقييد على الحضور والقاء دعاء الإمام ابن عرفة والادعية الماثورة. والجدير باللحاظة أن المغفور له الشيخ الهادي بحسن شارك في الرحلة التي نظمها المريدون إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك العمرة، وفي طريقهم إلى مكة توقفوا بمدينة حميشرة بصحراء مصر لزيارة ضريح الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه والترحم على روحه الزكية، وقد وجدوا من أخوانهم المصريين اتباع الطريقة الشاذلية كل التقدير والاحترام والتكرير. بعد حياة حافلة بالحيوية والنشاط والتقرب إلى الله تعالى انتقل الراحل العزيز إلى جوار ربه في شهر نوفمبر 1984 فخلفه ابن عمه فضيلة الشيخ سيدى حسن بحسن حفظه الله ورعاه في مشيخة الطريقة الشاذلية والقيام باعيانها بكل كفاءة واقتدار، فكان خير خلف لخير سلف، وفي الختام نورد هذه الآيات الشعرية التي وردت في كتاب «الطريق إلى الله» للمرحوم الشيخ محمد الشاذلي خلاص الشريف الصديق الحميم للشيخ الهادي بحسن.

باللغة في المجد قدرها العلي
وصالحون عاملون خيرة
نسن الامجاد الوجيه الاكميل
صحيح العهد ثابت الميثاق
هداء الله سبل الرشاد

ان طريقة الإمام الشاذلي
رجا لها غر كرام بررة
ا و لهما ستا ذ نا ا لمجل
جميل الخلق حسن الاخلاق
صدق حقا من سماه (الهادي)

رحم الله شيخنا المفضل رحمة واسعة واسكته فراديس جنانه جزاء ما قدم من عمل صالح ورزق اهله وذويه واتباع الطريقة الشاذلية قاطبة جميل الصبر والسلوان.
وانا لله وانا اليه راجعون

مُحَمَّدُ الْفَاضِلُ بْنُ عَاشُورٍ كَالْمَفْذُ
وَمُصْلِمٌ هُمَّازٌ وَرَائِدٌ مِنْ دُوَادِ النَّفَدَم
فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ *

بِقَلْمِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَكْحَلِ رَحْمَةُ اللهِ

في حدود الساعة التاسعة من مساء يوم الاثنين 20 ابريل سنة 1970 اوقفت الاذاعة التونسية برامجها لتتبئ الناس بالخبر الفاجع خبر نهاية انفاس زعيم الثقافة العربية، ورائد الاصلاح الديني وخطيب العصر، الإمام الحق والعالم الفذ، محمد الفاضل بن عاشور. فتوقفت الانفاس، واضطربت دقات القلوب، واقشعرت الابدان، وارتعدت الفرائص، وساد الجميع وجوم يشبه وجوم الموتى، فإذا الموتى كالجماد ينطرون ولا يتحركون ويفكرون ولا ينطقون.

أي خطب ألم بالمسلمين! واي كارثة حلت بالمؤمنين في أحلك ليالي كفاحهم، وأخطر ايام حياتهم؟ لقد سكت إلى الأبد لسان كان يخاطب الجميع، وغاب عقل كان يفكر للكل، ومات محام كان يجد فيه الاسلام وانصاره اكبر الحماة والمدافعين.

وليس عجيبا أن يحدث نعي الفاضل في النفوس هذا الحدث، ذلك لأن الرجل ليس عاديا كسائر الناس اتي العالم ليأكل الطعام، ويمشي في الاسواق، ويختلط الناس ويعايشهم ثم يفارقهم، فتحدث فيهم فرقته آثرا قد يضعف، وقد يقوى على حسب كثرة الوصل وقلته، ثم ينسونه، وتسير حياتهم سيرتها الاولى، وكأنه ما وجد، ولا عرفوه. نعم ليس الفاضل رجالا عاديا من هؤلاء الناس بل هو عظيم من أولئكم العظام الذين يجيئون العالم لاما، فيحدثون فيه هزة ويملاون الدنيا باعمالهم، فتبقى ابد الدهر شغل الناس، يأخذها كل عصر بفهمه ويحللها كل جيل بعقله، فإذا هي جديدة متتجدة، وإذا صاحبها خالد من الخالدين.

ولست فيرأي هذا من المبالغين، ولا من الذين يرسلون القول جزاها، ولا يزنون الفاضل بميزان الواقع بل اعتقاد الاعتقاد القوي الجازم أن الرجل في القمة. ولعلك تجد في اعماله المعروفة- وهي بعض اعماله- ما يجعلك تؤمن ايماي، وتعتقد اعتقاديا. لقد عاش الفاضل ستين سنة، قضى ثلثها في التعليم وتكوين نفسه، وقضى الباقي في معايشة الناس، وتحمل المسؤوليات، والقيام باعباء الحياة على النحو الذي يقوم به كبار الرجال وعظماؤهم، يخطب حينا، ويكتب احيانا، ويحاضر أو يسامر في كثير من الساعات ويدرس أو يدرس في اغلب اوقاته، وهو في كل اعماله خير مرشد، واحسن موجه، يعمل



بـوـهـرـاـلـاسـلام

في الليل وفي النهار لخلق الجيل الصالح، وبعث الشباب الوعي، وایجاد العدة للكفاح عملا بتوجيهات ربه (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة). فقد عرف في الحقل القومي، وكان له فيه اثره، فكان من اعضاء مؤتمر ليلة القدر وقد هيأه ذلك ليكون عضوا بالحزب. وعرف في الكفاح النقابي، فكان من مؤسسي الاتحاد العام التونسي للشغل، وقد ترأسه مدة من الزمن، وكان من المشاركين في تكوين الجامعة القومية للتعليم. كما عرف في الميدان الثقافي، فكان باعثا الحياة في الجمعية الخلدونية ومؤسس معهد البحوث الإسلامية ومعهد الحقوق العربية، والبكالوريا العربية للخلدونية. وعرفه التدريس، فعرف فيه الاستاذ البارع، والمدرس الكفاء، والعالم الفذ، والمحجه البصیر وقد تخرجت على يده بالزيتونة والصادقية اجيال، نرى بعض افرادها اليوم اعضاء بالحكومة، والبعض الآخر يعمل هنا وهناك في مختلف الميادين، ومتعدد المجالات. وعرفته الصحافة في الداخل والخارج، فاكتشفت فيه الصحافـيـةـ الـلـبـقـ وـالـدـيـبـلـوـمـاـسـيـ المـتـازـ مماـ جـعـلـهاـ تـسـابـقـ فيـ نـشـرـ اـنـتـاجـهـ، وـتـبـعـ اـخـبـارـهـ.

أما المجالات فقد وجدت في المرحوم بغيتها، وكان انتاجه زينتها، واعظم باعث للجميع على قراءتها، وانك لا تستطيع أن تجد مجلة محترمة من مجالات عصره، ليس له فيها مقال ممتع، أو كلمة طريفة أو دراسة نادرة. والندرة والطرافة، والامتناع من فقيتنا شيء عادي، فهو لا يخرج على الناس إلا بالنادر، والطريف، والممتع، وهو لا يعرف التكرار، ولا يحب الاجترار، همه ابراز الجديد، واتحاف القراء بكل نادر وطريف مما جعل كل احاديثه جديدة، لا تجد مقالته في اي ميدان من الميادين مشاركا.

وفي أيام ظهوره الاولى عرفته الاذاعة التونسية في فجر حياتها، فاجتهدت في ضمه لسرتها فكان ابرز اعضائها واحسن محاضريها. ثم عرف في المحافل الدولية، وهناك اكتشفت مواهبه، وعرفت مكانته، وكان من ابرز محاضري الجامعات، في الشرق والغرب، وكان من اعضاء المجمع اللغوي بمصر، وكان عضوا بارزا برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ثم كان احسن نائب عن تونس بالمؤتمر الإسلامي العالمي الأول مما جعله يتبوأ به المكان الممتاز بالدوره الموالية.

واخيرا وليس آخر دعي المرحوم من طرف الكنيسة بلندن، فلبى دعوتها، ونزل ضيف شرف عليها، وكانت له مع رجالاتها محادثات، ومجادلات لم تعرف تفاصيلها حتى الان. وقد اطنب القسم العربي بالاذاعة البريطانية في الاشادة بمحاسن هذه الزيارة، وأشار إلى عظيم نتائجها دون أن يذكر شيئا منها.

وهكذا عرف فقيتنا في الشرق والغرب، واشتهر بالعمل الجدي في كل الميادين، وقد اكتسب هذه المكانة وحصلت له في زمن ضيق شهرة لم يحصل عشرها لغيره ممن عمر ضعف عمره من أعظم الرجال في مختلف البلدان، وليس لذلك سبب سوى تلك الشعلة من الذكاء والعقربية التي وهبها

الله للفقيد، فكانت مصدر نبوغه، وسر عظمته. وكل من تتبع حياة فقيتنا ولو مع شيء من الاختصار يدرك هذا النبوغ، ويلمس هذه العبرية، ولعل هذا يضطربي إلى أن استعرض حياته التي عرفت البعض منها بنفسه بحكم اتصالي به الدائم في العهد الأخير من حياته، وحذسي عن باقيها بنفسه. ولد فقيتنا برد الله ثراه بدار أبيه بنهج البasha بتونس صبيحة يوم السبت الثاني من شوال سنة 1327 هـ الموافق 16 أكتوبر سنة 1909م، وقد احدثت ولادته فرحة كبيرة بالمنزل لأنها حصلت بعد عشر عظيم اصاب والدته، فكان خلاصها بداية الفرحة، وذكرة ولیدها نهايتها. وقد سماه جده للأب والد أبيه- باسمه المعروف به اليوم- محمد الفاضل- وحبته العناية الإلهية بشيء لم تحبو به كل الناس فقد تفتحت عيناه على رؤية كل من أبيه- العلامة الاستاذ الإمام اطال الله انفاسه- وجده وجدته للأب، وأمه، وأمها، وأبيها، وجدته الكبير للوالد والأم معا. وفي هذا الجو العائلي الذي لم يرزق قبل فقيتنا ذكرا نشا المرحوم في بحر من العطف والحنان، والعناية المتوافرة، مما جعله يشعر مع صغر سنّه، بالامتياز الذي كان يحظى به أهل البيت كلهم، وخصوصاً جده الكبير، ولكنه مع ذلك لم يسلك طريق- الولد المدلل- بل سار في طريق الجد بفضل عنایة أبيه واستقامته.

وعند بلوغه السنة السادسة من عمره شرع يتعلم رسم احرف الهجاء العربية بواسطة كتب مصرية وفي اثناء ذلك أخذ يحفظ القرآن العظيم. وفي السنة التاسعة من عمره بدأ يحفظ مع القرآن بعض المتنون فحافظ الأجرمية، والرشد المعين، والرسالة، والالفية، والعاصمية. وعند بلوغه العاشرة شرع يتعلم الفرنسية بواسطة معلمين اختصاصيين كانوا يختلفون على المنزل في ساعات معينة من النهار. ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره بدأ يتعلم مبادئ القراءات، والتوحيد، والفقه، والنحو بمسجد يقع قرب منزلهم بنهج البasha (مسجد سيدی بوحديد) وفي نهاية هذا العام اجتاز امتحان الدخول للسنة الثانية من التعليم الزيتوني بنجاح، وبذلك اخترز سنة من تعليمه في البداية، كما اخترز سنة من تعليمه في النهاية حيث تقدم لامتحان التطوير سنة 1347-1928 ولم يشه اجتئاده وتعلم بالزيتونة عن أن يواصل تعلمه بالفرنسية طيلة هذه المدة. وكان فقيتنا طيلة هذه الفترة يتوق إلى الصلات الاجتماعية التي كان مشتاقاً إليها بحكم قضائه كامل تعليمه الابتدائي منفرداً، بعيداً عن كل بيئة خارجة عن أسرة بيته، وقد دفعه الاشتياق إلى تكوين شبّه جمعيات بالمنزل من الاخوات الصغيرات والاتباع تشبه تلك التي كان يقرأ عنها في الصحف الشيء الكثير، وكان يعقد هؤلاء اجتماعات بالمنزل يكون فيها المنظم لها، وصاحب الدعوة، والقائم بالخطابة فيها وقد يتولى احيانا القاء بعض القصائد التي كان يتولى بنفسه نظمها. وقد كان لنشاط الحركة التمثيلية للبلاد في ذلك العهد دور كبير في دفعه إلى تكوين شبّه مسرح بيته كون له شروة من الأزياء، وادوات الزينة، وشرع مع صغار أخواته، وبعض الاتباع يعد الروايات، ويخرجها باستعداد كبير، وقد مثل مع صحبه عدة روايات من بينها رواية صلاح الدين الايوبي ورواية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القائد المغربي وبعض الروايات التي حررها هو بنفسه حول بعض الاحداث التي كانت تهز البلاد في ذلك العصر كتازل الملك الناصر عن العرش وما إلى ذلك من الاحداث.

وبعد تحصيله على التطويق اقبل على مزاولة الدراسات العليا بالجامعة الزيتונית، وانخرط في سلك طلبة المدرسة العليا لغة والأداب العربية بالطارين وفي سنة 1931 انتسب إلى كلية الآداب بعاصمة الجزائر. وفي السنة الموالية نجح في مناظرة التدريس وبذلك صار مدرسا بالجامعة الزيتונית.

وما ان باشر التدريس بالجامعة حتى اشتهر صيته وظهر نبوغه، وبرزت عبقريته، وتسابق المشرفون على المنظمات المعروفة اذاك لاستمالته إلى منظماتهم، وجبله إليها، وكان اقباله عليها عظيما، وعمله فيها كبيرا، ذلك لأنه كان يتبع حركاتها بكل عناء، ويستقصي أخبارها بكمال الدقة عندما كان يتعلم بالزيتونة، ولم يستطع أن يشارك فيها لما كان يجده من والده من رقابة شديدة ضيقـت عليه نطاق تقلـه بين الجامـع والبيـت، ونظام اوقاته.

وكان بداية انفاسـه في العمل ببعض الجمعـيات المشـهـرة اذاك كالجمعـية الخـيرـية، وجمعـية قـدـماء الصـادـقـية تـرـجـعـ إـلـى السـنـةـ التـيـ تـحـصـلـ فـيـهاـ عـلـىـ شـهـادـةـ التـطـويـقـ سـنـةـ 1928ـ وـقـبـلـ نـجـاحـهـ فـيـ مـنـاظـرـةـ التـدـرـيسـ اـعـنـيـ سـنـةـ 1931ـ دـخـلـ المـجـلـسـ الـادـارـيـ لـلـجـمـعـيـةـ الـخـلـدـوـنيـةـ بـدـعـوـةـ مـنـ الـمـرـحـومـ عـبـدـ الرـحـمـانـ الكـعـالـكـ رـئـيـسـ الـخـلـدـوـنيـةـ الـاسـبـقـ وـمـنـ ذـلـكـ الـحـيـنـ اـرـتـبـطـ بـهـاـ، وـصـارـ يـعـمـلـ فـيـ نـطـاقـهـ، وـكـانـ اوـلـ عـمـلـ اـظـهـرـهـ لـلـعـمـومـ بـنـادـيـهاـ بـسـوقـ الـعـطـارـينـ مـحـاضـرـةـ الـقيـمةـ التـيـ القـاـهـاـ عـلـىـ مـنـبـرـهـ بـعـنـوانـ: القـاضـيـ الفـاضـلـ، وـكـانـ لـهـذـهـ الـمـحـاضـرـةـ صـدـاـهـ الـكـبـيرـ فـيـ ذـلـكـ الـحـيـنـ وـقـدـ نـشـرـهـ لـهـ الـمـرـحـومـ زـيـنـ الـعـابـدـيـ السنـوـسـيـ باـحدـىـ نـشـرـيـاتـ دـارـ الـعـربـ.

وكانت زيارته التي قام بها إلى فرنسا سنة 1926 قد احدثت في نفسه اثرا كبيرا فقد شاهد هناك العظمة واطلع على أشياء ابهره، وجعلته يتمنى أن يرى بيلاده بعض ما ابهره بفرنسا. وكان لهذا الاثر الذي احدثه بنفسه زيارة لفرنسا مدة في مضاعفة نشاطه بكل المنظمات التي عمل بها ونشط في نطاقها. وفي غضون سنة 1933 حصلت بالبلاد احداث عظيمة، استغلها رجال الحزب الحر الدستوري القديم لفائدهم، وعلى رأس هؤلاء المستغلين المرحومان احمد الصافي ومحى الدين القليبي، فاعلنوا حربا شعواء على بعض عائلات تنسب للزيتونة، وكانت عائلة الفقييد إحدى هذه العائلات وكان من نتائج هذه الحرب انكماش المرحوم حول نفسه، واستغفاله بشؤونه الخاصة وكان من نتائجها أيضا حفر هوة عميقـةـ بـيـنـ هـذـهـ العـائـلـاتـ وـعـامـةـ النـاسـ سـيـماـ النـاشـئـةـ مـنـهـمـ.

وفي السنة الموالية اعني سنة 1934 قدمت إلى الحاضرة لزواولة دروسـيـ الثـانـوـيةـ بـالـزـيـتوـنـةـ وـكـانـ لـيـ اـذـاكـ وـلـوـ خـاصـ بـالـعـرـبـيـةـ جـعلـيـ اـتـلـقـ بـكـلـ شـخـصـ يـتـكلـمـ العـرـبـيـةـ بـسـهـولـةـ، وـبـحـسـنـ الـخـطـابـةـ وـقـدـ دـفـعـنـيـ هـذـاـ الـلـوـلـعـ إـلـىـ التـطـوـقـ بـالـحـضـورـ بـعـضـ درـوـسـ منـ كـنـتـ اـكـبـرـهـ اـمـثالـ: الشـيـخـ جـعـيـطـ وـالـشـيـخـ أـبـيـ الـحـسـنـ النـجـارـ،

والشيخ معاوية التميمي، وكنت احفظت ما اسمعه من هؤلاء من قصائد خصوصاً لهذا الاخير. وكان الشيخ الفاضل اذاك ابرز شيوخ الزيونة ولكنني رغم ذلك لا اميل اليه، فكنت كلما رأيته يتكلم وطربت اذني لسماعه اسرع قلبي ليسد طريق صوته اليه، ودفعني إلى الاعراض عنه دفعاً، وما ذلك إلا نتيجة ما ركز في نفسي، وغرس في قلبي من جفاء نحوه نتيجة تلك الدعاية المغرضة التي ملأ بها الدنيا رجال الحزب القديم.

وفي السنة الدراسية الموالية جرت مناظرة عظيمة في سلك التدريس من الطبقة الاولى بالجامع وقد شارك فيها عدد كبير من خيرة مدرسي الطبقة الثانية بالزيونة، وكان الشيخ الفاضل من بينهم، فحضرت دروسهم، وتبعها المناظرة باهتمام، ورغم صغر سنى وبدائيتي في التعليم استطعت أن ادرك البون الشاسع بين فقيتنا اليوم، وبقية مناظريه مما جعله ينبع في تلك المناظرة بتفوق عظيم، وامتياز كبير.

ورغم ما ادركت وادرك الجميع، وما اسفرت عنه المناظرة والـتـاليـهـ،ـ كـنـتـ غـيـرـ مـطـمـئـنـ إـلـىـ هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ اـسـطـعـاءـ الدـالـعـاـيـةـ أـنـ تـجـعـ إـلـىـ حدـ بـعـيدـ فيـ تـشـوـيهـ،ـ وـالـحـيـلـوـلـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ النـاـشـئـةـ فـيـ ذـلـكـ الـحـيـنـ.ـ وـبـقـيـ هـذـاـ الجـفـاءـ يـلـازـمـنـيـ حـتـىـ ظـهـرـتـ حـرـكـةـ بـورـقـيـيـةـ وـأـنـتـشـرـتـ فـيـ الـبـلـادـ،ـ وـكـانـ هـذـهـ حـرـكـةـ تـعـمـلـ كـمـاـ هوـ حـالـهـ الـيـوـمـ لـمـ الشـمـلـ وـتـوـحـيـدـ الصـفـوـفـ،ـ فـكـانـ تـمـدـيـدـهـ لـكـلـ الـعـامـلـيـنـ،ـ وـكـانـ مـنـ بـيـنـ مـنـ عـمـلـتـ مـعـهـمـ اـفـرـادـ كـثـيـرـوـنـ مـنـ تـلـكـ الـعـائـلـاتـ الـتـيـ كـانـتـ محلـ نـقـمةـ الـجـمـيعـ،ـ فـرـايـناـ مـجـلـةـ الـجـامـعـةـ تـصـدـرـ مـحـرـرـةـ بـاقـلامـ طـائـفـةـ مـنـ هـؤـلـاءـ وـأـوـلـئـكـ وـرـايـناـ مـؤـتـمـرـ الـحـزـبـ بـعـدـ ذـلـكـ يـنـعـقـدـ بـنـهـجـ التـرـيـنـالـ،ـ وـيـتـصـدـرـ عـلـىـ مـنـصـتـهـ بـعـضـ مـنـ عـمـلـ دـعـاـيـةـ الـقـدـامـيـ لـتـحـطـيمـهـمـ.

ثم تابعت الاحداث، فجرت حوادث التاسع من ابريل سنة 1938، وتلا ذلك القاء القبض على كل الرعماء الاولين والثانويين، فدفعت الظروف اذاك طائفة من الشباب - وكانت من بينهم - إلى الدخول في المعمعة فتشرفنا بتكوني الديوان السياسي الثاني في اوائل ماي سنة 1938 وشرعوا في العمل مما اضطر الحكومة الاستعمارية إلى تتبعنا، وتقسي اخبارنا، ومراقبة حركاتنا بكل دقة وانتباه وفي الثاني عشر من نفس الشهر استطاعت أن تلقى القبض على كامل افرادنا، وتجمعننا بالبرمناس القديم بنهج محمد على دار الاتحاد العام التونسي للشغل اليوم - وبعد اتمام البحث واجراء الابحاث الاولية بالمركز الثاني للبوليس الذي كان يقع بنهج باب بنات عند بداية نهج باب العلوج، ارسل بنا إلى السجن العسكري بالقصبة، وهناك حوكمنا بعد ايقاف خمسة اشهر، ثم نقلونا إلى عدة اماكن بالجمهورية لقضاء مدة الحكم التي حكم بها علينا. وبعد خروجنا من السجن رجعت إلى تعليمي بالزيونة، فوجدت الجماعة كما تركتهم، وكانت اذاك اترقب منهم أن يثوروا ويقوموا بعمل ما ولكنهم لم يتحركوا ففاضني ذلك منهم، فاغتنمت فرصة عملني مع الاخ المرحوم الطاهر زروق بجريدة صبرة - واعلنتها حرفاً شعواء على بعضهم.

بِوْهُوَ إِلَّا مُ

وكلت اتوخى في كتابتي عدم التصريح بالاسماء حتى لا ينالني الطرد الذي نال بعض الاخوان كالزميل أحمد الخباثي، والاخونين محمد بسباس، وحمودة قوجة ورغم ذلك القفت إلى الانظار، وكاد يحل بي ما حل بهم، ولكن الله سلم، فعجل بدخول العالم في الحرب العالمية الثانية، وبذلك جمد كل شيء، فتوقفت عن البروز الجرائد المكافحة: تونس الفتاة- صبرة، وتونس، وتعطل كل عمل إلا حركة المقاومة السرية، فانشغل بها الجميع واعرضوا عما سواها.

وبعد انهزام فرنسا أمام جحافل جيوش المحور، وانقسام ترابها، واحتلال الالمان بلادنا حصلت في البلاد حركة عظيمة شملت كل الميادين، وصادف ان مات قبل ذلك الملك العاجز أحمد باي الثاني، فتولى مكانه المغفور له محمد المنصف، فانساق مع احساس الشعب وابدل الوزارة الصورية القديمة بوزارة جديدة اسند رئاستها إلى محمد شنيق وعملت هذه الوزارة عملاً محتشماً مع الشعب الذي تألف في هذه الفترة بجميع طبقاته، وكان لهؤلاء الذي الفنا منهم الركود، والانكماش نصيب غير متواضع من الاعمال في عدة ميادين ثم دارت الدائرة، وحصل ما تباً به قائده الامة وكان يرسل به اليانا من منفاه، فانهزم المحور هزيمته الشنعاء، وتفس العالم الصعداء، وعبر سكان المعمورة عن فرحتهم باقامة مظاهرات كبرى جالت بجل مدن العالم والقرى.

وكان من الحكمه وسداد الرأي أن تشارك تونس في هذه الفرحة العارمة، فالافت مظاهرة عظيمة، جالت كل شوارع البلاد رغم ما لقيت من عراقيل، ومقاومة، وتهديدات واستعمال القهر، ووسائل الترهيب والتخييف، وقد رأى المواطنون في ذلك اليوم ولأول مرة على راس هذه المظاهرة إلى جانب الزعماء الفقيد محمد الفاضل ابن عاشور، فاحضرت هذا المنظر في النقوس أثراً بعيد المدى، لأنه كان يرمز إلى الف معنى ومعنى وتواتت الاحداث بعد ذلك، وكان للفاضل ابن عاشور في جميعها دوره الممتاز ببعث حركة العمال، وتكونت منظمتهم- الاتحاد العام التونسي للشغل بقيادة الشهيد حشاد، وكان الفاضل رئيسها، وقد شاهده الجميع، وسمعيه يخطب في جموع العمال بالمسرح البلدي، ومقهى الفتح بباب سويقة، والملعب البلدي بالبلفدير...و...و...الخ فكان في جميع خطبه يهز الجماهير هزاً، ويعطل حركة المرور بالطرق وقد غاض هذا العمل الاستعمار، فاوحي في بعض المرات إلى شركة الترامواي أن ترفع قضية ضد هذه المنظمة وزعمائها لأنهم قد تسبيوا لها في خسائر جسيمة.

وعقد مؤتمر ليلة القدر المشهور الذي اعلن ابطال الحماية و نهايتها، فكان الفاضل احد زعماء هذا المؤتمر مما جعل الاستعمار يضعه على راس قائمة القبوض عليهم حين فاجأت شرطته المؤتمرين ليلة المؤتمر اثناء عقده بمحله السري ...

وعقب خروج الجميع من السجن اجمع الزعماء وقررروا تعينه عضواً بالديوان السياسي الذي يسير الحركة اندماً وفي هذه الفترة شاعت العناية الإلهية أن تربطني به رابطة الأستاذية، فتشرفت بالاقتراب منه، وتمكنت من معرفته على حقيقته، فإذا هو على عكس ما كانت تشيع دعاية القدامى عنه- وطني ممتاز،

ومسلم كامل وعربي اصيل، وشهم حقيقي ثم هو إلى جانب هذه العموميات فاضل حقاً في أخلاقه، وفي تربيته، وفي سيرته، وفي معاملته الناس، وفي احساسه نحو الجميع، تحدثه عن بعض من سمعت منه الكثير من السب والشتم واستقصاص مكانته، فيتشى عليه، وبعللي من شأنه، وببيوئه في الأخلاق وحسن السلوك المكانة الممتازة.

وكانت دروسه ممتازة جداً فهي أحسن الدروس التي تلقيتها، والوحيدة التي احتفظت بمحفوتها، فهو لا يقرئ كثيراً، ولكنه أقدر أستاذ عرفته على الخلق والتكونين.

وكان رحمة الله يحدثنا في دروسه عن كل شيء حديث مقتدر خبير، يحدثنا في السياسة فنخاله أكبر السياسة في العالم، ويحدثنا عن الاقتصاد فنظن الرجل من اختصاصي هذا الميدان، ويحدثنا في العلوم فيستولى على عقولنا ويتركنا حيارى مبهوتين، ويحدثنا في الفلسفة وكانت دروسه في تطور المذاهب الفلسفية فيخلق بنا بعيداً... ونحاول الالتحاق به... فيوفق بعضنا وتخون البعض اجنبته، فيجلسون، وقد اشرابت اعنائهم نحو المحققين، وكل تلاميذ الاستاذ يدركون تمام الادراك أن أعظم هدف كان يهدف إليه من دروسه هو التوجيه، ومن هنا كانت كل دروسه واحاديشه توجيهية، تكوينية، ولعل هذا هو الذي كان يشجعنا أحياناً على أن نطلب منه أن يحدثنا في أمر من الامور التي لم تبلور لنا، فيهال محللاً... موضحاً... مقارناً... ويدوم أحياناً ساعة أو أكثر، ونحن كأنما على رؤوسنا الطير في تمام خشوع وقوه انتباه. رجوته يوماً... وقد حلت ذكرى هجرة رسول الله عليه السلام -أن يحدثنا عن الهجرة وأسبابها، ونتائجها فلبى الطلب، وحقق الرجاء فحدثنا ساعة كاملة حول هذا الموضوع حديثاً جديداً ليس فيه تكرار، ولا اجترار، وكان من جديد حديشه انه ما كان يظن أن الذين خرجوا من مكة يقتلون اثر محمد يرمون من وراء القبض عليه قتلهم، بل كانوا يحاولون أن يحولوا بينه وبين الاتصال بانصاره بالمدينة لأنهم كانوا يرون في هذا الاتصال خطراً واي خطر على حياتهم... وقد تحققت بعد ذلك تنبأتهم.

ثم يقول: وليس في هذا عجب، فقد علمنا التاريخ أن كل حركة تبعث في العالم يمر بها طوران تكون في البداية طالية والناس لها رافضون، ثم تصير بعد ذلك مطلوبة، وهي لطلب الناس رافضة وهكذا كانت دعوة محمد قبل الهجرة طالية مرفوضة ثم أصبحت بعدها مطلوبة رافضة.

وبعد تحليل، وتمثيل، وتنظيم، يربط هجرة الرسول عليه السلام منذ ثلاثة عشر قرناً ونصفاً بهجرة الزعيم بورقيبة إلى الشرق هذه الهجرة التي كانت حديث الخاص والعام في ذلك الوقت فيقارن هذه بتلك مجسمًا اتحاد الأسباب، ومتبايناً بتشابه النتائج وفي هذه المدة حلت ذكرى تأسيس الجامعة العربية فقام الفقيه بعمل عظيم هيأً به الأسباب لمشاركة الأمة في إقامة الاحتفال بهذه المناسبة. وقد دام هذا الاحتفال أيامًا زينت فيها البلاد من اقصاها إلى اقصاها، واقامت الحفلات في عدة بقاع. وقدمت بهذه المناسبة روايات تاريخية ممتازة، ثم ختمت أيام الاحتفال باجتماع جبار حضرته عشرات الآلاف المواطنين، وتولى الخطابة



جواهر الاسلام

فيه عدد كبير من القادة والمفكرين، وتجلت فيه وحدة الامة في احلى مظاهرها، وكان لخطورة هذا الاجتماع اثر عظيم في نفوس الاستعماريين، فاقدتهم رشدهم ودفعهم إلى استعمال طريقة دينية لافساده، حيث التجأوا إلى قطع النور الكهربائي، وبذلك حالوا دون استعمال مضخم الصوت، فتعجب الجميع في ايصال كلماتهم إلى الجمهور الكبير. ورغم استعمال هذه الطريقة الدينية، فقد تم الاجتماع في جو حماسي ممتاز، زاد الناس ايمانا بقضيتهم وتعلقا بعروتهم، وجعلهم يؤمنون أكثر من اي وقت مضى بوجوب التآلف والتآزر والاتحاد وذلك عكس ما كان يؤمل المستعمرون. ومشاركة منه في نشر الروح الإسلامية، وغرس محبة العربية في القلوب اسس معهد البحوث الإسلامية كفرع للخلدونية، واختار له محاضرين من بين زعماء البلاد وقادتها امثال المرحوم علي البهلوان والاخ الباهي الأدغم رئيس الحكومةاليوم، وتنفيذ خطته الرامية إلى توحيد صنوف الامة التي كانت تستعد للدخول في معركة عظيمة لتحرير البلاد، ضم لهؤلاء الزعماء المرحوم محى الدين القليبي، وكان من المحاضرين أيضا الاستاذ عثمان الكعاك وتولى هؤلاء مع نفس الفقييد على الحضور بالمعهد في اوقات مضبوطة لقاء محاضراتهم على عدد كبير من تلامذة الزيتونة والصادقية، وكان كل هذا يقع بحرية تامة في وقت كانت فيه البلاد خاضعة لرقابة شديدة تجعل الصحافة تخرج يوميا شبه بيضاء. وكانت محاضرات معهد البحوث الإسلامية تقع ثلاثة مرات كل اسبوع، ويقوم فقييدنا بواحده أو اثنين منها اسبوعيا، يقضى في كل واحدة منها الساعه والربع او الساعه والنصف يفيض على الحاضرين اثناء ذلك من سحره الحال، ويغمرهم بفصاحته النادرة، ويفرقهم في بحر من التفكير.

والى جانب عمله التدريسي بالزيتونة والصادقية وقيامه بالمحاضرات في كل من معهد البحوث الإسلامية اسبيوعيا، وأحياناً بمعهد الحقوق العربية الذي أنشأه كفرع للخلدونية بعد أن انشأ معهد البحوث الإسلامية كان إلى جانب عمله هذا يقوم بالقاء محاضرات على منابر جمعيات الشباب التي كانت منتشرة في ذلك الوقت بكامل جهات العاصمة، ويشارك في تحرير عدة مجلات وينشر باستمرار فصولاً ممتدة بكل من جريدة الزهرة، وصوت العمل التي كان يصدرها الاتحاد العام التونسي للشغل.

وفي سنة 1949 دعا إلى عقد مؤتمر للثقافة العربية، بعد ما هيأ الأسباب، وارسل عدة دعوات إلى جهات إسلامية مختلفة بعدة جهات من بلاد الإسلام، وكان لدعوته اثرها في الجميع فلبى رغبته عدد كبير من رجالات الإسلام والعروبة، أقبل بعضهم للحضور بنفسه، وشارك البعض الآخر بما أرسله من قيم الانتاج، أما رجال الثقافة بتونس فقد شاركوا باجتمعهم، وقد عقدت عدة اجتماعات عامة، وتكونت لجان عديدة في مختلف الميادين، اختصت كل واحدة منها بميدان خاص درسته في جلسات متكررة، القيت فيها عدة محاضرات، وقد بلغت المحاضرات التي ألقىت في هذا المؤتمر العشرات، وكان في عزم الفقيد رحمة الله نشرها بكتاب خاص، ولكن فقد الامكانات المادية حالت دون تنفيذ

بُوهر الإِسْلَام

العزم. وهكذا تواصل نشاطه في قوة وكثرة حتى استأثرت به المحاكم الشرعية، وهناك وجّد من تراكم القضايا المتأخرة وكثرة الاعمال ما حدد نشاطه في الميدان العام، وجعله يقبل في شبه انقطاع على عمله الجديد. وفي هذه الفترة حصلت البلاد على استقلالها، وفي أول عهد الاستقلال كلفه فخامة الرئيس بالقضاء ثم اقتضت المصلحة توحيد قضاء البلاد فكلفه المجاهد الأكابر برئاسة دائرة للتعقيب فاظهر فيها حنكة فائقة ودرأة نادرة جعلت فخامته يختاره لخطبة مفتى الجمهورية - التي أحدثها بمقتضى النظام الجديد. وقد جمع مع هذه الخطبة عمادة الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، وبذلك أصبح الشيخ الفاضل مفتى الجمهورية وعميد الكلية الزيتونية ورغم ما تتطلبه هاتان الخطتان من جهود متواصلة، وعمل جبار فقد استطاع أن يقوم بعدة اعمال خارجة عن نطاق مهمته بكلية الشريعة ودار الافتاء فقام برحلات عديدة إلى كثير من بلاد الشرق والغرب أقى إثناعها كثيراً من المحاضرات بجامعاتها، وعلى منابر منظماتها. ولم يمنعه عمله المتواصل بالخارج عن القيام بنشاطه في الداخل فكانت له عدة محاضرات بمختلف الجهات على منابر اللجان الثقافية، ولجان التسيير والجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم و...و...والخ

وكان رحمة الله يهدف من كل عمل يقوم به إلى غرس مبادئ الإسلام وقيمته بالنفوس، وتحبيب النشء في عروبيه ومحبة الشيخ للاسلام والعروبة لم تكن مصطنعة أو نظرية بل هي غريزة فيه جعلته يحب الإسلام والمسلمين ويتعلق بكل بلاد الإسلام والعروبة بدون أن يفضل بعضها على بعض، ولطالما كان يقول لي رحمة الله ضمن توجيهاته: إياك والتغصب الإقليمي فقد نهى عنه الإسلام وعلمنا محمد كيف ننقيه فقد ولد في مكة، واستوطن المدينة وبها مات ودفن. نعم هكذا كان المرحوم يوجهني أيام الدراسة وهكذا سمعته يقول أخيراً في محاضرته التي استأثرت بشرف تسجيلها، ولم تنشر بين الناس، وذلك ما جعلني أعتقد أن الشيخ كان يؤمن بأرائه ايماناً قوياً يجعله يتمسك بها، ولا يحيد عن شيء منها حتى الممات.

قال رحمة الله في محاضرته التي القاها على منبر اللجنة الثقافية الجهوية بسوسة مساء يوم الجمعة آخر أيام شعبان سنة 1382 الموافق 25 جانفي سنة 1963 بالحرف الواحد: «أشعر بمعنى من نفسي ولعل الكثيرين يشعرون به مني، وهو ذلك المعنى الذي يربطني بامصار الإسلام، وعواصم البلاد الإسلامية على نسبة لا بالغ حين أقول أنها متساوية، فإن امصار الإسلام عندي تمثل كلها فيحقيقة واحدة تجذبني إليها، وتربطني بها، وتعرض على جهها، وتكريمها، وخدمة مجدها الحاضر والغابر، والمناداة لانتمائى إليها والدفاع عنها، فليست فاس عندي غير لاهور، وليس القاهرة غير بغداد، وليس تونس غير مراكش، وليس بيروت غير سوسة، وليس القิروان غير قربطة فإنها تمثل من نفسي منزلة تتلاقى فيها جميع هذه المدن، وتكامل، حتى أنتي لأشعر بانتي أعيش فيها جميعاً وانتي كلما دخلت مدينة من هذه المدن لا أقول انتي لقيت فيها مدينة عزيزة، أو قوماً أعزه كراماً، ولكن أقول انتي لقيت في كل مدينة من هذه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِهِ وَإِلَيْهِ السَّلَامُ

المدن نفسى، والقى نفسى في كل مدينة من هذه المدن على نحو يتحدى ويختلف على النحو الذى القى فيه نفسى في المدينة الأخرى، فهو وإن اختلف باعتبار ما نسميه الان الاطار، مما يحف بنفسى التي القاها في بغداد، مختلافا عن نفسى التي القاها في مراكش ولكنها تتحدى في أن المجردات، والمعنويات التي كان بها الإنسان انسانا، وكانت بها النفس الإنسانية نفسها هي بذاتها واحدة غير متعددة القاها كلما دخلت مدينة من هذه المدن على السواء...

وبعد! فهذه عجالة كتبتها حول الفقيد ضمنتها بعض ذكريات وخواطر، ولعلى اطللت فيها القول، ولكن ما حيلتى والحديث عن الإمام الفاضل من حديث البحر بل هو البحر نفسه، وقد حاولت جهد الطاقة اختصار القول فيه حتى وقعت في كثير من الاقتضاب. والذي اوقعنى في هذا المحظور هو محاولة الإمام بحياته في كلمة واحدة، وشيء كهذا في رجل مثل العالمة الفاضل من المجال، وخير طريق للتعریف به هو طريق فصل حياته وتجزئتها، ثم تخصيص كل ناحية من حياته بدراسة خاصة، ومثل ذلك الفاضل في تعليمه الثانوي والعالي والفضائل والتدریس، والفضائل في الديوان، والفضائل في سلك القضاء، والفضائل في الخلدونية، والفضائل والحركة العمالية، والفضائل والمنظمات ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن حياته الخاصة ونفسيته، فاخلاص الفاضل موضوع مستقل، وكذلك تواضعه وشهادته، وسلوكه مع الناس، وعواطفه نحو الجميع، فكل موضوع من هذه المواضيع يتطلب دراسة خاصة، وتحليلا موضوعيا مستقلا، ولذا وفاء لاستاذ الجيل اراني اليوم مضطرا إلى التوجه بدعة حارة وملحة إلى كل اخواني الذين كان الفقيد قطب دائتهم، وخير موجه واعظم مكون لشخصيتهم وعلى راس هؤلاء جميعا الاخ الحبيب بن الخوجة، ادعوه هؤلاء جميعا بالحاج إلى تكوين هيئة تتولى جمع انتاج الفقيد ونشره ودراسته دراسة موضوعية تبرز افكاره، وتوضح مذاهبه وتعرف بحياته، وموافقه البطولية في مختلف الميادين وبذلك نرضي روحه، ونكون له من الاوفياء.

والآن لم يبق لي ايها الاستاذ العزيز إلا أن اطلب من المولى القدير أن يخفف آلامنا، ويلطف مصابنا فيك، وأنني اعدك باني سابقى على العهد، عاماً بتوجيهاتك، متبعاً نصائحك التي كنت لا تبخل علي بها في كل حين ملتزمماً تلك التعليمات والمبادئ التي غرستها في نفسى، وتعهدتها بالرعاية بين الحين والآخر حتى صارت غريزة في، تذكرني بك وتسليني في فقدك.

والى أن نلتقي في جنة الخلد، نودعك في رعاية الله مع المتقين في جنة ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر وانا لله وانا اليه راجعون، وانت من السابقين ونحن من اللاحقين

مسئوليتنا تجاه شباب الأمة

الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال، المتوحد باستحقاق نعوت الكمال- المنزه عن الشركاء والنظيراء والامثال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الهايدي من الضلال صلى الله عليه صلاة يتضاعف ثوابها ونوالها- صلاة دائمة مستمرة لا تعرف العدّ ولا الحدّ. صلاة ترضي بها عنا يا ربّنا ويرضى بها عنا صلاة تكون بها من أهل شفاعته الذين يدخلهم الله برحمته إلى جنات النعيم وعلى آلـ الإبرار الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم طهيراً وعلى أصحابـ الأخيارـ منـ المهاجريـنـ والـانصـارـ وـعـلـىـ كـلـ مـنـ تـبـعـهـ بـاـحـسـانـ إـلـىـ يـوـمـ الدـينـ.

أوصيكم عباد الله بما أوصي به نفسي واهلي واحلص اخوتي واحبتي اوصيكم بتقوى الله في السر والاعلان فهي خير ما يتواصى به المؤمنون، فباتقوى يسعد المؤمنون في هذه الدار وينالون الجزاء الاولى في الآخرة (والآخرة خير وابقى).

أما بعد ايها المسلمين، موضوع خطبة هذا الأسبوع في التبيه على ما يتهدد الشباب من مخاطر الوقوع في مصائد الشيطان عدو أبيينا آدم الذي سببهه أخرج من الجنة، العدو الذي ناصب بنيه وتوعدهم بالغواية.

*شبابـ الـأـمـةـ هـمـ عـنـوانـ مـسـتـقـبـلـهـ،ـ وـاـمـةـ بـلـ شـابـ،ـ اـمـةـ بـلـ مـسـتـقـبـلـ كـمـاـ يـقـالـ،ـ الشـابـ هـمـ آـمـالـ الـاسـرـ وـالـعـائـلـاتـ وـهـمـ عـمـادـ نـهـضـةـ وـرـقـيـ الـجـمـعـاتـ.*ـ وـالـشـابـ هـمـ الـبـنـونـ وـالـبـنـاتـ وـهـمـ مـعـ الـمـالـ زـيـنـةـ الـحـيـاةـ الـدـينـيـاـ كـمـاـ جـاءـ فيـ كتابـ اللهـ (ـالـمـالـ وـالـبـنـونـ زـيـنـةـ الـحـيـاةـ الدـينـيـاـ).

*ـ الـبـنـونـ وـالـبـنـاتـ عـنـدـمـاـ يـكـونـونـ صـالـحـينـ مـهـذـبـينـ مـنـ أـعـظـمـ النـعـمـ التـيـ يـنـعـمـ اللـهـ بـهـ عـلـىـ الـابـاءـ وـالـامـهـاتـ وـصـدـقـ الـحـكـيمـ عـنـدـمـاـ قـالـ:

نعم الله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الاباء

*ـ النـجـابـةـ فيـ الـدـرـاسـةـ وـالـعـمـلـ،ـ وـالـنـجـابـةـ فيـ السـلـوكـ وـالـاخـلـاقـ إـذـ لـيـسـ النـجـابـةـ الشـامـلـةـ فـقـطـ فيـ النـجـاحـ فيـ مـجـالـاتـ الـحـيـاةـ.

*ـ وـاـوـلـادـنـاـ وـبـنـاتـنـاـ أـكـبـادـنـاـ تـمـشـيـ علىـ الـأـرـضـ مـثـلـاـ نـشـفـقـ عـلـيـهـمـ وـنـفـنـيـ اـعـمـارـنـاـ وـصـحـتـاـ فيـ سـبـيلـ أـنـ توـفـرـ لـهـمـ كـلـ مـاـ يـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ مـنـ غـذـاءـ وـكـسـاءـ وـدـوـاءـ وـسـائـرـ مـاـ يـطـلـبـونـ،ـ وـمـثـلـاـ نـعـمـ جـاهـدـيـنـ لـكـيـ نـتـرـكـهـمـ اـغـنـيـاءـ مـنـ بـعـدـنـاـ،ـ وـدـلـلـكـ اـمـرـ مـشـرـوـعـ بـلـ مـطـلـوبـ فيـ دـيـنـ الـإـسـلـامـ عـمـلاـ يـهـدـيـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـيـمـ الـذـيـ اـمـرـ صـاحـبـهـ الـذـيـ جـاءـ يـرـيدـ أـنـ يـتـصـدقـ بـكـلـ مـالـهـ فـلـمـ يـاذـنـ لـهـ إـلـاـ بـلـثـ مـالـهـ،ـ أـذـنـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ بـالـثـلـثـ ثـمـ قـالـ (ـلـئـنـ تـرـكـ وـرـثـتـكـ اـغـنـيـاءـ اـفـضـلـ مـنـ أـنـ تـرـكـهـمـ فـقـرـاءـ يـسـأـلـونـ النـاسـ).ـ تـلـكـ هـيـ وـاقـعـيـةـ الـإـسـلـامـ وـمـرـاعـاتـهـ لـلـمـشـاعـرـ الـبـشـرـيـةـ،ـ مـشـاعـرـ الـاـشـفـاقـ عـلـىـ

بِوْهُوَالْإِسْلَام

الابناء واعتبار ذلك أمرا طبيعيا جبليا في النفس البشرية. لكن ما حذر منه الاسلام هو أن تكون الدنيا والدنيا فقط هي اكبر هم الآباء والامهات فقد ينقلب هذا الحرص على الابناء فتنة مصداقا لقوله جل من قائل (أن من ازواجهكم واولادكم عدو لكم فاحذروهم) الاية 14 التغابن وقال (إنما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) الاية 15 التغابن والفتنة اشد من القتل ونسال الله أن يقينا ويحفظنا من الفتنة واسبابها.

لقد دعا الاسلام الآباء والامهات إلى تحمل مسؤولياتهم كاملة نحو ابنائهم وبناتهم، وحذر من اهمال العيال الذي لا ينبغي علينا أن ننظر اليه فقط في جوانبه المادية بعدم الانفاق الواجب لهم. ذلك واجب كثيرا ما تعرض قضيائاه على المحاكم لفصل فيه. ولكن اهمال العيال الذي لا تنظر فيه محاكمة الدنيا وتنتظر فيه وتحاسب عليه محكمة احکم الحاکمين يوم القيمة. هو الاهمال الذي صرّحت به ايات الكتاب العزيز في مثل قوله جل من قائل (قوا انفسکم واهليکم نارا وقودها الناس والحجارة)

مسؤولية الآباء والامهات الناشئة عن الزواج الشرعي والميثاق الغليظ والذى تطبق عليه الاحكام الخمسة (الوجوب والندب والاباحة والكرامة والتحرير) والتي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (يا معشر الشباب من استطاع منكم البقاء فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم) (من استطاع منكم البقاء اي القدرة الكاملة الشاملة على تحمل كل ما يتربى على الزواج من انجاب للبنين والبنات من واجبات نحوهم من تربية سليمة اساسها اعطاء القدرة والاسوة، فالابناء والبنات مجبولون على تقليد آباءهم وامهاتهم في الخير أو في الشر لا قدر الله وصدق من قال

(وينشأ ناشئ الفتیان منا على ما كان عوده ابوه)

أو امه، والام مدرسة وملمة أولى للخير أو للشر

الام مدرسة إذا اعدتها اعدت شعبا طيب الاعراق

الولد أو البنت كما جاء في الحديث الشريف (يولد الولد على الفطرة وابوها يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) والأولاد ابناء وبنات عنانيين للاسر والعائلات فإذا كان الآباء والبنات صالحين مهذبين فهم عنانيين لاسرهم الصالحة المبنية على ركيزتيها الآباء والامهات على حد السواء.

واعظم نجاح تتحققه العائلات والاسر هو نجاحها في تنشئة ابنائها وبناتها على الخلق الكريم والتربيه الصحيحه وليس ذلك مرتبطا بالامكانات الماديه وما اكثراها الاسر الضعيفه الحال التي اهتدت للمجتمع ولبلاد ابناء وبنات نجباء مهذبين على خلق كريم وناجحين في مجالات الحياة، وما اكثراها على العكس من ذلك الاسر والعائلات ذوات الامكانات الماديه الكبيرة التي شغلتها الدنيا وبهارجها وتمتعها عن تربية ابنائها وبناتها، وفرت لهم كل ما يحتاجون اليه وما يطلبون حتى ما فيه غضب الله من وسائل المعاصي وارتكاب الذنوب فتحملت هذه العائلات الموسرة الغافلة عن تربية ابنائها

بِحُورِ الْإِسْلَامِ

جرائر اهمالها فيما اتاه ابناؤها وبناتها من المعاصي والمنكرات، وعانياً هذه الاسر و عقوق هؤلاء الابناء في الدنيا وما ستحاسب عليه يوم القيمة سيكون اشد.

و اولادنا وبناتنا ان نحن ادبناهم وربيناهم على الخلق الكريم حسنة يلحقنا منها الشواب والاجر اذا افضينا إلى ربنا عندما تقطع اعمالنا (وان ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيه سوف يُرى) ابناؤنا وبناتنا ان نحن ربناهم التربية السليمة ونشاناهم على مكارم الاخلاق وعلى خشية الله سيظلي لحقنا منهم الأجر والشواب وفي الحديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة ومنها الولد الصالح) يدعوه لأبيه بلسانه وعمله الصالح ولكن أبناءنا وبناتنا ان نحن اهملناهم واضعناهم ولم شخص لهم جزءاً من الوقت نوجههم فيه ونصحهم ونضرب لهم المثل فسيضيعون في هذه الامواج العاتية مما هو منتشر في المجتمع وهو بعيد كل البعد عن التمدن والتحضر وهو إلى الهمجيّة أقرب في كل التصرفات اقولا وافعالاً مما يتدى له الجبين والذي ذهب معه الحياة، والحياة شعبية من شعب الإيمان وخلق كريم لسيد المرسلين عليه الصلاة والسلام. ابناؤنا وبناتنا إذا لم نحسنهم بالخلق الكريم والتربية السليمة سينساقون إلى اتيان ما يأتيه غيرهم في الشارع وفي كل الفضاءات العامة. حال ابناتنا سيصدق عليه قوله القائل القاه في اليم مكتوفاً وقال له اياك اياك أن تبتل بماله ابناؤنا وبناتنا من تكون هذه حالهم من اهمال ابائهم وامهاتهم يحق لهم أن يقولوا

(هذا ما جناه أبي على وما جنيت على أحد)

فلتتق الله عباد الله في ابنائنا وبناتنا وفลดات اكبادنا، فان مسؤولياتنا عليهم كبيرة وسنحاسب عن تقسيرنا نحوهم وهو ليس التقسير المادي بل التقسير المعنوي المتعلق بالرعاية النفسية والأخلاقية التهذيبية الارشادية التوجيهية التي هم في امس الحاجة اليها في هذه المرحلة الدقيقة من اعمارهم التي ينبغي عليها مستقبلهم ليس في الحياة الدنيا بل وفي الآخرة. يقول عليه الصلاة والسلام (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فالاب راع لابنائه مسؤول عنهم يوم القيمة والام راعية مسؤولة عنهم يوم القيمة. و مسؤولية الرعاية للأبناء في الاسلام تشمل الجميع الاباء والامهات و المربين والمربيات وكل من يتتحمل مسؤولية صغيرة أو كبيرة. وبدون تحمل الجميع لمسؤولياتهم فلن تصل السفينة (سفينة المجتمع) إلى شاطئ وبر الامان في سلامه واطمئنان.

أن ابناءنا وبناتنا الذين خلقو لزمان غير زماننا يحتاجون منا إلى رعاية وعناية شاملة كاملة وهي اليوم رعاية تقضي اليقظة لأن مصادف الشيطان وحيله وألاعيبه واغواطه لم تعد بدائية بل استعمل لها وسائل متطرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِحُبِّهِ وَبِتَوْلِيَّةِ إِلَيْهِ

تمثل في هذا الفضاء المجهول الملئ بالمخاطر الأخلاقية وحتى العقلية فضلاً على المخاطر على العقيدة وعلى الإيمان وعلى الأخلاق، انه الفضاء الإلكتروني المسمى بالإنترنت والفايسبوك والذي يقضى معه أبناؤنا وبناتنا الساعات الطوال من الليل والنهار ولا ندري مع من يتحاورون ويتحاطبون ولا ندري ماذا ينقلون، ولا ندري ماذا يشاهدون، انه عالم خطير مليء بالمفاجآت والتصرفات الغريبة التي لا تمت لا إلى العلم ولا إلى التربية ولا إلى الأخلاق بایة صلة.

* حنانيك ربنا لطفاً بابناء وبنات المسلمين، حنانيك ربنا عوناً للباء والامهات على مصاحبة ابناءهم في التعامل مع هذا العالم الافتراضي الذي يبحرون فيه ابناؤنا وبناتنا وليسوا فيه ربانا ماهرين. ولنا عودة ان شاء الله للتبيه والتحذير من مخاطر ما فيه من دعوات وصلت إلى حد الدعوة إلى عبادة الشيطان من خلال طقوسه التي كلها تفسخ وتحلل ومخالفة صريحة لما كرم الله به الإنسان مما جاءت به الكتب السماوية ودعا إليه رسول الله عليهم الصلاة والسلام.

**خطبة جمعة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي بالمركب الإسلامي
بالتبيه تونس**

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الثالثون الجهنمي الذي تحطمت على صخوره الأمجاد وتبعثرت القوى

إن تاريخ الأمة الإسلامية المديد المنيف لم يمر بأشرطة الوردية سريعاً أمامنا وانه لينطق بأن النصر والعز مقروران بالجهاد والمجاهدة متى جعلناهما الدثار والشعار. وأن التمزق الحسي والمعنوي لن يصيينا إلا متى استسلمنا لأنانيتنا وغرائزنا وأعدائنا. هذا الثالثون الجهنمي الذي تحطمت على صخوره الأمجاد وتبعثرت القوى وتفككت الأواصر. والاستسلام هو النتيجة الحتمية للجبن الشنيع والجهل بمزية الجهاد الأصغر والأكبر. العابر المؤقت. وال دائم المستمر.

حُكْمُ اسْتِهْدَامِ لِفَلَمْ كَوَدُونَا الْمُسْنِدُ كَوْفِيد١٩
فَتْوَى مَبْلَسِ الْإِمَارَاتِ لِلِّإِفْنَاءِ الشَّرْعِيِّ
رَفْهٌ (١٥) لِسَنَة٢٠٢٠هـ
بِتَارِيْخِ: (٢١/١٢/٢٠٢٠هـ) الْمُوَافَقُ: (١٤٤٢/٥/٦هـ)

فإنّ مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي استعرض الاستفسار الوارد للمجلس من معالي وزير الشؤون الإسلامية بدولة ماليزيا الدكتور / ذوالفلك محمد البكري، بشأن: ”حكم استخدام لقاح فريوس كورونا المستجد (كوفيد 19) بشكل فقهى منضبط ومؤصل“ وكذلك ما ورد للمجلس من اهتمام كثير من المسلمين بحكم استعمال اللقاح، وعليه: فقد ناقش المجلس موضوع السؤال في يوم الاثنين (٦ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ الموافق 21/12/2020) وأصدر بشأنه بالتمرير القرار التالي:

- ٠ أولاً: أنه إلى الآن لم يثبت بطرق إثباتات معتبرة شرعاً، أن اللقاحات، المعلن عنها، تحتوي على مواد محرمة أو نجسة كالخمر والخنزير وغيرها [١]. والأصل في الأعيان الطهارة.
- ٠ ثانياً: أنه حتى ولو اشتمل اللقاح في مكوناته على مواد نجسة أو محرمة، فإن الذي نختاره هو جواز استعمال اللقاحات، إذا ثبتت نجاعتها -فعاليتها- في الغالب، وأن اللقاح، وإن دخل في مركباته عين نجسة، وزالت أعراضها بالكلية لاستهلاكها واندماجها في التركيبة الجديدة المؤلفة من مواد متفرقة، فإن هذا اللقاح يكون طاهراً، ويجوز استعماله والتداوي به.
- ٠ ثالثاً: أن التعليم داخل في جنس الدواء والعلاج المأمور به شرعاً، فهو من باب الطب الوقائي بالنسبة للأفراد، لا سيما في الأمراض الوبائية التي يقدر فيها الصحيح مريضاً لارتفاع نسبة احتمال إصابته، ولجاجة المجتمع إليه بمجموعه.
- ٠ رابعاً: التأكيد أن تحقيق المناطق في مدى نجاعة اللقاحات وطبيعة المكونات ومستوى الأعراض الجانبية كل ذلك إنما يعلم من جهات الاختصاص الصحية وأهل الخبرة من مراكز البحث الموثوقة.
- ٠ خامساً: أن التداوي في بعض الأحيان والبيئات يكون حكمه الوجوب، وإن كان الفقهاء رجحوا في كتبهم قدّيمًا أنه مندوب، فلعل ذلك كان لطبيعة النفع في الدواء، وضعف الاحتمال، أمّا في الأدوية المعاصرة التي صار نفعها قطعياً أو غالباً فالذى يعطيه النظر أنها تصبح كسائر وسائل استقاذ النفس البشرية المعصومة، التي يجب على الإنسان فعلها حفاظاً على حياته، فالاختلاف إذا هو من جنس الاختلاف في الحال، وتغير الزمان والمكان، وليس اختلافاً في الحجة والبرهان ول الحديث (قدّروا عباد الله) [٢]، ومما يتّأكّد فيه حكم الوجوب حالات الأمراض الوبائية المعدية، حيث يعُدُّ التداوي من باب إزالة الضرر المطلوبة شرعاً.
- ٠ سادساً: نذكر بما ورد في فتوى المجلس رقم ١١ لسنة ٢٠٢٠، وأنه يجب

بِوَهْرَةِ إِسْلَامٍ

شرعًا على جميع فئات وشرائح المجتمع الالتزام التام بكل التعليمات الصحية والتنظيمية الصادرة عن الجهات المختصة في الدولة، بالإضافة إلى اتخاذ جميع التدابير اللازمة لمنع انتقال المرض وانتشاره، وكذلك في حال اللقاحات إذا ألزمت صراحة بها الجهات الولاية المختصة.

مستند الفتوى:

إعمال مقاصد الشريعة المتعلقة بحفظ النفس البشرية ولقواعد الفقهية التالية:
القاعدة الأولى: قاعدة الاستحاللة، وتعرف كذلك بقاعدة انقلاب العين، ولدى الحنابلة بقاعدة العين المنغمرة.

والاستحاللة في اللغة استفعالة من حال يحول إذا تغير أو انقلب أو زال، أصلها استحوال بوزن استفعال أعلت عينه بحذف حرف العلة، وهو الواو وهو عين الفعل، وعوض عنها ببناء التأنيث فصارت استحاللة، قال ابن مالك في اللامية: ما عينه اعتلت الإفعال منه والاس تفعال بالتأنث وتعويض بها حصلاً من المزال.
وشرعاً: تغير يحصل في العين النجسة يؤدي إلى زوال أعراضها وتبدل أوصافها، يزول بسببه الاسم الأول لزوال الصفات القديمة التي اشتقت منها التسمية، ويأخذ اسمًا جديداً يناسب الصفات الجديدة.
ويُعتبر عن الاستحاللة أحياناً بالاستهلاك.

والتطهير بالاستحاللة مذهب أبي حنيفة وقولُ قويٍّ في مذهب مالك، ورواية عن أحمد ورجحها تقي الدين بن تيمية. ولم يعتبر العلماء الفرق بين التغيير الذاتي الواقع من الله أبتداءً وبين التغيير الواقع بكسب الإنسان وصنعه، بل علوا الطهارة بمطلق التغيير.

فأما الأحناف، فيقول ابن عابدين في حاشيته: (هذه المسألة قد فرغوها على قول محمد بالطهارة بانقلاب العين الذي عليه الفتوى واختاره أكثر المشايخ خلافاً لأبي يوسف كما في شرح المنية والفتح وغيرهما، وعبارة المحتبى: جعل الدهن النجس في صابون يفتى بطهارته لأنَّه تغير، والتغيير يُظهرُ عند محمد ويُفتى به للبلوى اهـ، وظاهره أن دهن الميتة كذلك لتعبيره بالنجس دون المتتجس إلا أن يقال هـ خاص بالنجس لأن العادة في الصابون وصُنْعُ الرِّبَّت دون بقية الأدهان، تأملـ). ثم رأيت في شرح المنية ما يؤيد الأول حيث قال عليه يتفرع ما لو وقع إنسان أو كلب في قدر الصابون فصار صابوناً يكون طاهراً للتبدل الحقيقة اهـ.

ثم أعلم أن العلة عند محمد هي التغير وانقلاب الحقيقة وأنه يُفتى به للبلوى، كما عُلم مما مَرَّ، ومُقتضاه عدم اختصاص ذلك الحكم بالصابون فيدخل فيه كل ما كان فيه تغير وانقلاب حقيقة وكان فيه بلوى عامّة(3).

وأما المالكية فقال القراء في في الذخيرة: (قاعدة تبين ما تقدم وهي أن الله تعالى إنما حكم بالنجاسة في أجسام مخصوصة بشرط أن تكون موصوفة بأعراض مخصوصة مستقدرة ولا فال أجسام كلها متماثلة وأختلافها إنما وقع بالأعراض، فإذا ذهبت تلك الأعراض ذهاباً كلياً ارتفع الحكم بالنجاسة إجماعاً، كالدم يصير مُنِيًّا ثم آدمياً، وإن انتقلت تلك الأعراض إلى ما هو أشد است cedar منا ثبت الحكم فيها بطريق الأول كالدم يصير قيحاً أو دم حيضاً أو ميّة)(4).

قال الزقاق المالكي في المنهج المنتخب في قواعد المذهب:

وهل يُؤتَّرُ انقلابٌ كعرقٍ * ولبنَ بولٍ وتفصيلٍ أحَدٌ

وقال المقرري في قواعده: “أما الاستحالة فمزيلة على الصحيح؛ لأن الحكم بالنجاسة تابع للأعراض لا للذات”[5] وقيل في قاعدة أخرى: “استحالة الفاسد إلى فاسد لا تقل حكمه، وإلى صلاح تقل، بخلاف يقوى ويضعف، بحسب كثرة الاستحالة وقتها، وبعد الحال عن الأصل وقربه، وإلى ما ليس بصلاح ولا فساد قولهان، وهذا كله للمالكية”[6].

وذكر المالكية أنه إذا حرق إنسان نجasse حتى صارت رماداً فإن هذا الرماد يصبح طاهراً، على المعتمد عند العلماء في المذهب، وإذا كان هذا الرماد طاهراً ترتب على ذلك جواز حمله في الصلاة وفي الطواف وجواز تناوله إذا لم يكن فيه إضرار بالصحة وبالأحرى إذا خلط بطعم آخر[7].

ولم يفرق المالكية في حكم التطهير بين أن يكون انتقالها ذاتياً أو يفعل فاعل، ولذلك قال خليل في مختصره في ذكر الطاهرات ”خمر تحرّر أو خلّ“، وإنما اختلفوا في جواز الاقدام على تخليها ونقل الخطاب أن: ”المشهور عندنا أنه مكروه فإن فعل أكل“[8].

وأما الحنابلة فيقول ابن تيمية: (فهذا مبني على أصل وهو أن العين النجسة الخبيثة إذا استحالت حتى صارت طيبة كغيرها من الأعيان الطيبة - مثل أن يصير ما يقع في الملاحة من دم وميّة وخنزير ملحاً طيباً كغيرها من الملح، أو يصير الوقود رماداً وخرسفاً وقصر ملحاً ونحو ذلك) - ففيه للعلماء قولهان: أحدهما: لا يظهر، كقول الشافعي، وهو أحد القولين في مذهب مالك؛ وهو المشهور عن أصحاب أحمد؛ وأحد الروايتين عنه؛ والرواية الأخرى: أنه طاهر؛ وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك في أحد القولين؛ وأحد الروايتين عن أحمد. ومذهب أهل الظاهر وغيرهم: أنها تطهر. وهذا هو الصواب المقطوع به؛ فإن هذه الأعيان لم تتناولها نصوص التحرير لفظاً ولا معنى؛ فليس محرمة ولا في معنى المحرم فلا وجه لحريمها بل تناولها نصوص الحل؛ فإنها من الطيبات، وهي أيضاً في معنى ما اتفق على حله... وأيضاً فإن الله تعالى حرم الخبائث لما قام بها من وصف الخبث كما أنه أباح الطيبات لما قام بها من وصف الطيب وهذه الأعيان المتازع فيها ليس فيها شيء من وصف الخبث وإنما فيها وصف الطيب[9].

وأضاف ابن تيمية في موضع آخر: (الاستقراء دلنا أن كل ما بدأ الله بتحويله وتبديله من جنس إلى جنس مثل جعل الخمر خلا والمدم مني... فإنه يزول حكم التجيس ويزول حقيقة الجنس واسمته التابع للحقيقة وهذا ضروري لا يمكن المنازعة فيه. وأما ما استحال بسبب كسب الإنسان لإحراق الروث حتى يصير رماداً ووضع الخنزير في الملاحة حتى يصير ملحاً ففيه خلاف مشهور. وللقول بالتطهير اتجاه وظهور).

القاعدة الثانية: جواز التداوى بالنجس إذا لم يُلْفَ غيره، وجواز التداوى بالخمر إذا استهلكت ولم ينفع غيرها، وهذه القاعدة للشافعية، وهم الذين لم يقولوا بالاستحالة، ولكنهم نظروا إلى المسألة من جهة الحاجة إلى التداوى.

وقد فرّقوا بين الخمر وسائر النجاسات، فوسّعوا أمر النجاسات الأخرى، حيث يمكن التداوي بها صرفة خالصة، عند فقد الطاهر الذي يقوم مقامها، لحديث العربين الذي في الصحيحين، وأما الخمر فاشترطوا أن تكون ممزوجة بغيرها ومخلوطة بأدوية أخرى لورود النهي المخصوص عن التداوي بها.

قال ابن حجر الهيثمي في شرح المنهاج: والأصح تحريرهما صرفاً لدواء مكّلّف أوّصبيّ أوّ محنون لخبر مسلم أنه صلى الله عليه وسلم «قابٌ مُنْ سَأَلَهُ أَنَّهُ يَصْبِعُهَا لِلدواء أَنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ»، وصحّ خبرٌ إنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شَفَاءً أَمْتَيْ فِيمَا حَرَمَ عَلَيْهَا»، أما مستهلكة مع دواء آخر فيجوز التداوي بها كصرف بقية النجاسات إن عرف أو أخبره عدل طب بنفعها وتعينها بأن لا يغنى عنها طاهر.

وفي شرح سنن أبي داود لابن رسلان الرملي، ونقله الشوكاني في نيل الأوطار: والصحيح من مذهبنا جواز التداوي بجميع النجاسات سوى المسكر، لحديث العربين في الصحيحين، وأن يشربوا من أبوالها للتداوي كما هو ظاهر الحديث وحديث الباب: لا تداووا بحرام ولم يجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليهم محمول على عدم الحاجة بأن يكون هناك دواء غيره يغني عنه ويقوم مقامه من الطاهرات¹⁰.

فعلى هذه القاعدة الشافعية، يجوز التداوي باللّاقاح المصنوع من مادة نجسة سواءً كانت خمراً أو خنزيراً أو غيرها، إذ تركت تركيباً، وما دامت الحاجة إلى هذا اللّاقاح قائمة والبديل عنه مفقوداً.

القاعدة الثالثة: الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة الخاصة؛ وأصل هذه القاعدة لإمام الحرمين في البرهان حيث قال: (ونحن نرى أن ننبّه قبل تبيين القول فيه على أمر؛ وهو أن الإجارة جازت خارجة عن الأقيسة التي سميت بها جزئية في القسم الأول، فإن مقابلة العوض الموجود بالعيوب المعدوم خارج عن القياس المرعى في المعاوضات، فإن قياسها أن لا ي مقابل إلا موجودان، ولكن احتمل ذلك في الإجارة لمكان الحاجة، وقد ذكرنا أن الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة، الخاصة في حق أحد الأشخاص)¹¹. وقد تلقاها العلماء بالقبول كالغزالى وتلميذه ابنُ العربي والزرکشي وابن نجيم والسيوطى وجل المالكية.

ومحل الاستشهاد بها أن هذا المرض اختصّ عن كثير من الأمراض بما اتصف به من سرعة الانتشار والعدوى، وما ألحقه من مفاسد عظيمة بالأرواح والأموال وسائل منافع الناس، وقد أدخل على الجميع عنتاً عظيفاً في معيشهم وأمور ديانتهم، فإن لم يكن التداوي بهذا اللّاقاح ضرورة في حق كل أحد فإنه حاجة عامة في حق كافة الخلق، فساغ بذلك أن ينزل منزلة الضرورة الخاصة.

القاعدة الرابعة: الأصل اعتبار الغالب، وهي قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، قال الزقاق المالكي في المنتهج المنتخب في قواعد المذهب:

وغالباً قدم على ما ندرأ وهو شأن شرعاً فكثراً

ومحل الاستدلال بهذه القاعدة من جهة نجاعة الدواء وما قد يتربّ عليه من الأعراض الجانبية، فإن الأمر فيها يرجع إلى مراعاة درجة الاحتمال، فإن ثبت

بالتتجارب الخبرية أن الغالب من أحواله أن ينفع صاحبه ويكسبه المناعة المنشودة، فاستخدامه محل اتفاق، طبقاً لما تقدم، سواء لدى الجمهور القائين بالاستحالة، أو الشافعية الذين أناطوا الإباحة بحصول النفع. وقد نقل الشوكاني اعتبار الغلبة في مسألة التداوي بالسموم، (السموم على أربعة أضراب: منها ما يقتل كثيرة وقليله فأكله حرام للتداوي ولغيره قوله تعالى { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة }، ومنها ما يقتل كثيرة دون قليله فأكل كثيرة الذي يقتل حرام للتداوي ولغيره والقليل منه إن كان مما ينفع في التداوي جاز أكله تداوياً، ومنها ما يقتل في الأغلب وقد يجوز أن لا يقتل فحكمه كما قبله، ومنه ما لا يقتل في الأغلب وقد يجوز أن يقتل فذكر الشافعي في موضع إباحة أكله وفي موضع تحريم أكله فجعل بعض أصحابه على حالين فحيث أكله فهو إذا كان للتداوي وحيث حرمه فهو إذا كان غير منتفع به في التداوي)[12].

وفي الختام: فإننا نُفتّي المسلمين بجواز استعمال لقاح كوفيد[19]، وندعوهم إلى التعاون مع الحكومات في إنجاح حملات التطعيم وأحترام إجراءات الوقاية والاحتراز، كما ندعوهما إلى الالتجاء إلى الله تعالى بالدُّعاء وكثرة الاستغفار، ليمن على البشرية برحمته ورفع هذا الوباء.

[1] أكد متحدثون باسم شركتي فايزر وموديرنا أن لقحات كورونا التي أنتجهما لا تحتوي مكونات يدخل فيها الخنزير: <https://apnews.com/article/immunizations-ja-karta-indonesia-coronavirus-pandemic-china-fca994ba765735d277f736d-9badb397c>

[2] رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذى.

[3] ابن عابدين: حاشية رد المحتار على الدر المختار، ج1/ ص 316.

[4] القراء في: الذخيرة، ج1/ ص188.

[5] المقرى: القواعد، ج1/ ص 263.

[6] المقرى: مرجع سابق، ص 271.

[7] عبد الله بن بيه: صناعة الفتوى وفقه الأقليات، ص 434.

[8] الخطاب: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ج1/ 139.

[9] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج21/ ص 70.

[10] ابن رسلان الرملي: شرح سنن أبي داود، ج15/ ص 582.

[11] إمام الحرمين الجويني: البرهان، ص 931.

[12] الشوكاني: نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار، ج 9 / ص 67.



مَن يَرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْعَلُهُ فِي الدِّينِ

(يسالونك قل..)

بقلم الشيخ محمد الحبيب النفطي رحمه الله

حول ما ينقض الوضوء وهجران المسلم لأخيه المسلم

السؤال: يقول السائل الكريم ابني اقوم بواجباتي الدينية لكنني تعودت على سب الجلاله. فهل سب الجلاله يوجب الفسل أو الوضوء؟ هل ان كل انسان يتخاصم مع انسان آخر ويبقى هاجرا لخصمه لا يكلمه فوق ثلاثة ايام هو اثمن في هذه الهجرة التي تزيد على ثلاثة ايام؟

الجواب: اعلم ايها السائل هداعك الله انك لو كنت قائما بواجباتك الدينية كما ذكرت ما كنت لتتعود سب الجلاله (الله تعالى) وسب الجلاله إن كان عن استخفاف وسخرية بالخالق الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فسبك هذا رد وکفر ومحبطة لأعمال الطاعات كلها منها الوضوء ومفسد للعصمة الزوجية فيجب عليك أن تبادر بالتوبة من ردتك هذه وهي سب الجلاله وان تشهد شهادة الاسلام وان تجدد عقد الزوجية وان حصل منك سب الجلاله وانت على وضوء فقد انقضى وضوئك فإذا اردت الصلاة فتوضا من جديد . وان كان سبك للجلالة جرى على لسانك ناشئا عن حمق وشدة غيظ قاصدا بذلك اهانة الشخص الذي سببته دينه غير خاطر ببالك الله جل جلاله عند السب فارجو أن لا تكون قد ارتدت عن دين الاسلام فتكون باقيا على وضوئك لكن حذار من العودة إلى سب الدين . والله الهادي إلى سواء السبيل .

لا يجوز للمسلم أن يهجر اخاه المسلم إذا حصلت بينهما مشاجرة فوق ثلاثة ايام فهجرة المسلم حرام فلا تأخذ العزة بالاثم وبادر برفع الهجرة بينك وبينك وبين من تخاصلت معه مهما كان نوع الخصومة ويفكي في رفع الهجرة أن تبدأ من تخاصلت معه بالسلام ولا تلتفت إلى من يقول لك إن عودتك إلى مكالمة من تخاصلت معه تدل على ضعف الشخصية وهذا الكلام الذي يقال لك إنما هو من وحي الشيطان - لعنه الله .

قال عليه الصلاة والسلام (لا يجوز لسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ اخاه بـالإسلام) رواه الإمام مالك والبخاري ومسلم والترمذى .

كيفية معرفة القبلة

السؤال: ما هي العلامات التي تعرف بها القبلة في البلاد التونسية من كواكب ومطالع أو علامات أخرى؟

بحيث لم نجد في كتب الفقه التي بناها علامات تدل على القبلة إلا في شرح متن ابن عاشر لـ محمد مياررة. يقول تعرف القبلة بالبلاد التونسية بمطلع الشريا فهل هذا صحيح مع أن الشريا تميل إلى اليسار كثيراً وتتجاهلها مخالف للمحاريب بالجواب؟ الرجاء مزيد البيان في هذا مع ذكر بعض المراجع إن أمكن والسلام.

الجواب: أعلم أيها السائل الكريم أن فقهاء الإسلام قسموا القبلة التي هي شرط في صحة الصلاة إلى قسمين قبلة تعين وقبلة اجتهاد: قبلة التعين واجبة على من كان بالمسجد الحرام بمكة المكرمة فلا يجوز لمن كان بالمسجد الحرام يعيين الكعبة المشرفة أن يخرج عن مواجهتها ولو بقدر أصبع فان انحرف المصلي عن أي جهة من جهات الكعبة المشرفة عامداً فصلاته باطلة وان انحرف ناسياً فتندى له اعادة الصلاة في الوقت.

واما قبلة الاجتهاد في حق من لم يكن بالمسجد الحرام معايناً للكعبة المشرفة فان المصلي المطلوب منه أن يجتهد ويتحرى ما يمكنه التحري والاجتهاد حتى يسامي المسجد الحرام بمكة ويختار الجهة التي يطمئن إليها أنها مسامحة للمسجد الحرام ومعلوم أن المسجد الحرام هو مركز الدائرة للأقطار الإسلامية فالاقطر الإسلامي تحيط بالمسجد الحرام شرقاً وغرباً وجنوبياً وشمالاً وكل سكان هذه الأقطار واجب عليهم أن يولوا وجوههم في صلاتهم شطر المسجد الحرام قال الله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطرون) الآية من سورة البقرة. وحيث عرفت أن قبلة الاجتهاد موكول أمر معرفتها للمصلي نفسه ان كان اهلاً للاستدلال على معرفة القبلة بالعلامات الطبيعية كالكواكب أو بغيرها كالبواصلة وإن لم يكن اهلاً للاستدلال على معرفة القبلة فإنه يجب عليه أن يقلد غيره من العارفين. هذا وقد جعل فقهاء المالكية بال المغرب العربي علامات يستدلون بها على صحة الاتجاه إلى سمت القبلة ببلدان الشمال الأفريقي التي منها تونس، فقالوا ان الاتجاه الذي يكون بين مطلع الشمس صيفاً وشთاء هو اتجاه صحيح إلى القبلة وقالوا إذا جعلت القطب الشمالي على كتفك الايسر وانت متوجه إلى الجنوب الشرقي فقبلتك صحيحة وقال الشيخ علي النوري الصفاقي رحمه الله في كتابه (المنقد من الوحلة في معرفة الستتين والقبلة) إذا وقعت أشعة الشمس عند شروقها في شهر دجنبر على ظهر محراب الجامع اي جامع بتونس فالقبلة صحيحة وإذا انحرفت أشعة الشمس عند شروقها عن ظهر المحراب يميناً أو شمالاً فالقبلة غير صحيحة والانحراف اما أن يكون يسيراً أو كثيراً فيسيره لا يضر وكثيره الذي يكون فيه المصلي كالمستدير للقبلة ف تكون الصلاة باطلة. والله أعلم.

صفات من الذرينة الحديثة لـ كلية و جامعة

ال امر الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين في صائفة سنة 1987 كي تصبح مجرد قسم للدراسات الإسلامية في كلية الاداب بالجامعة التونسية وقد اتخذ هذا القرار ضمن سلسلة إجراءات أخرى منها الحق الإداري العامة للشؤون الدينية بوزارة الداخلية في توجه واضح لتحجيم المؤسسة الدينية في اطار رؤية ضيقة لمحاضرة التطرف والإرهاب.

- وافق قرار جعل الكلية الزيتونية (وريثة جامعة الزيتونة اعرق جامعة إسلامية في العالم) مجرد قسم في كلية كل امل في ان تبقى هذه المؤسسة العلمية المفخرة تؤدي ولو جزئيا دورها العلمي والديني المميز التي ظلت تقوم به لما يزيد عن الف عام والمتمثل في تخريج العلماء الاعلام الذين كانوا ولا يزالون يرفعون راس تونس عاليا في المحافل والمنتديات.

- لقد نزل هذا القرار غير الصائب كالصاعقة على كل العقلاء من التونسيين ومن يعرفون للزيتونة فضلها على الدين وتونس وابنائها وحتى اشقائهما الذين نهلوا من معينها الصافي النقى والذي لم يتضارب فيه المكونان الأساسيان للهوية (الوطن والدين).

- وقد شهدت الكلية الزيتونية قبل اتخاذ هذا القرار غير الصائب تجاذبات وصراعات بين هيئة التدريس فيها مما انعكس سلبا على مردودها العلمي والديني مما لا داعي الى استعراضه وبيان من هو الحق فيه وقد كان على الجميع ان يتلقوا على كلمة سواء هي الحفاظ على مؤسستهم العلمية والدينية العريقة - ولانتي احد ابناء الكلية الزيتونية واحد خريجيها التحقت بها مختارا وانا حامل شهادة البакلوريا ادب (وذلك قبل العمل بقانون التوجيه الجامعي) فقد نزل هذا القرار (الحاق الكلية الزيتونية بكلية الاداب وجعلها مجرد قسم للدراسات الإسلامية) علي كالصاعقة لم استفسره ولم ار له مبررا مقنعا وكانت في تلك الفترة اكتب مقالا أسبوعيا كل يوم جمعة بجريدة الصباح فقد عبرت عن هذا الشعور في مقال مطول يحمل عنوان (دور الكلية الزيتونية في التحضر الداخلي والاشعاع الخارجي) استعرضت فيه مسيرة الزيتونة جامعة وكلية وما يمكن ان تقوم به وتسديه لتونس وللشعب من دور إيجابي هما في امس الحاجة اليه واختتمت مقالتي بالتعبير عن الامل والرجاء في ان يكون جعل الكلية الزيتونية مجرد قسم للدراسات الإسلامية اجراء ظرفيا اقتضته طاقة الاستيعاب على ان تعود الكلية الزيتونية الى سابق استقلالها.

* نشر ذلك المقال المدافع عن الكلية الزيتونية في ذلك الظرف الدقيق الذي كانت تمر به البلاد ومر بسلام وبarakه كل الزيتونيين الابرار (الا من كانوا في صراع مع الادارة المشرفة على الكلية) ويشهد الله انتي ما كتبته وفي ذهني أي حساب سوى البر والاخلاص والتعلق بالزيتونة وهو ما ظللت وسائل ملتزمـا به ما حبيـت (والمقال موثق الى جانب مقالات أخرى عن الزيتونة كتبها طيلة

العقود الماضية اسأل الله ان ييسر جمعها في سفر يؤخر لمرحلة من مراحل مسيرة الزيتونة وما اعتراها من مدد وجزر).

* ولا يمكن لمقال في مثل هذا الموضوع يكتب وينشر في ذلك الظرف الدقيق ان لا يلفت الانظار ويقرأ بالمجهر (وفي حديث دار بيني وبين السيد محمد الصياغ رحمه الله في مناسبة علمية سأله عن قرار الحاق الكلية الزيتونة بكلية الاداب وهو من كان آنذاك وزيرا للتربيه والتعليم العالي قال لي رحمة الله لقد وضع مقالك على مكتبي يوم شرره وقال كلاما اخر في هذا السياق).

* وبعد السابع من نوفمبر ضمن سلسلة من القرارات التي اتخذت في المجال الديني في اطار المصالحة مع الهوية العربية الإسلامية وقعت العودة بالكلية الزيتانية الى سابق تسميتها واستقلالها ولم تثبت ان أصبحت جامعة بكليات ثلاثة (أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية) وهو قرار نزل ببردا وسلاما وبباركه كل الشعب وبدون استثناء الا من ظلوا يناصبون الزيتونة العداء المجاني والكراهية الدفينه التي لا تعترف للزيتونة بأي فضل. هؤلاء عبروا صراحة عن امتعاضهم ورفضهم لهذا القرار وعده ارتدادا عما اعتبروه مكسبا وهو انهاء التعليم الزيتوني جامعة وروافد كانت موجودة ابان احرار البلاد على الاستقلال في اغلب مدن البلاد وحتى في الجارة الجزائر . هؤلاء لم يتقبلوا بقاء الزيتونة بكلية فما بالك ان تعود من جديد كجامعة. لقد ثارت ثائرتهم وعبر احدهم ذات مرة في اجتماع مشهود عن مخاوفه (من مخاطر الزوجة وقالها بلغة فرنسيه le danger de la zeitounisation) وقال اخر من نفس التوجه (ها نحن في مواجهة جديدة للمتعصبين). وقال اخر (ان الزيتونة والمجلس الإسلامي ووزارة الشؤون الدينية ماهي الا محاكم تفتیش تتنصب في البلاد) الى غير ذلك من المواقف الغريبة التي يجد فيها التطهير في الجهة المقابلة المسوغ لما ياتيه من موقف وتصرفات يرفضها رفضا كليا العلم الشرعي الصحيح المتين كما مثله احسن تمثيل خريجو الزيتونة في عهودها الظاهرة متلما يرفضون مواقف غير القابلين لكل تصالح مع مقومات الهوية التونسية من لغة (العربية) وإسلام هو الرحمة كلها والخير كله والصلاح كله.

كان الارتياح كبيرا وكان الترحيب واسعا من مختلف فئات الشعب التونسي بإعادة الكلية الزيتانية الى سابق تسميتها واستقلالها بكلية في الجامعة التونسية الى جانب بقية الكليات.

ولم يلبث هذا القرار ان ارتقى بالكلية لتصبح جامعة مستقلة بكلياتها الثلاثة (أصول الدين والشريعة والحضارة) وهو قرار باغت الجميع و كان امنية أجيال متعاقبة ظلت بكل وسيلة مشروعه تطالب بإصلاح الخطأ التاريخي الذي ارتكب في حق هذه المؤسسة العريقة (الزيتونة) التي لا تذكر تونس الا مقترنة بها (الجامع والجامعة بروافدها وهي فروع كانت منتشرة في اغلب المدن التونسية)، - وكان الامل معقودا ان يعزز قرار إعادة جامعة الزيتونة بشعبية للعلوم الإسلامية



على مستوى المرحلة الثانية من التعليم الثانوي ولو في بعض المعاهد تمكّن حاملي شهادة الباكلوريا خريجيها من تحصيل رصيد من العلوم الشرعية واللغة العربية. يبني عليه التكوين الجامعي في الزيتونة. وللحقيقة التاريخية ذكر بان الوزير الأول محمد مزالى رحمة الله لما كان وزيرا للتربيّة احدث هذه الشعبة وصدرت نصوصها القانونية استجابة لمقترح تقدم به له اهل الذكر من الأساتذة والمتقدّمين وهيئة التدريس في الكلية الزيتونية. ولكن هذه الشعبة لم يكتب لها ان تدخل مرحلة التجسيم العملي الفعلي وذلك داخل ولاشك في إطار ما عاشته تونس طيلة العقود الماضية التي تلت حصول البلاد على الاستقلال من مد وجزر في مجال النظر الى قضية الهوية ومقوميها الأساسيين (الإسلام والعربية).

وقد وقعت المطالبة بعد إعادة جامعة الزيتونة باحداث الشعبة الإسلامية في التعليم الثانوي متضمنة مقررات شعبية للاداب يضاف اليها مقرر في العلوم الاسلامية تراعى فيه كل النواحي العلمية والبيداغوجية ولكن هذا المطلب الموثق في تقرير مطول ضمن مجموعة من المقترنات في مختلف مناحي الملف الدينى توليت اعداده بطلب من الرئيس السابق زين العابدين بن علي رحمه الله والذى أحال النظر فيه الى لجنة اسندت رئاستها الى الاستاذ الحبيب بوالاعراس رحمه الله وضمت في عضويتها فضلا عن نخبة من الشيوخ والأساتذة والمسؤولين في المجال الدينى عددا من الإطارات العليا في الدولة والحزب ولكن لم يحظ هذا المقترن بالدعم والمساندة بما في ذلك من طرف اهل الذكر من الحاضرين

*عادت الزيتونة كجامعة وكانت محطة الامال في ان يمتد بها السنن العلمي الضاربة جذوره الى علي ابن زياد وسخنون وكان يمكن ان يتحقق ذلك الحلم خصوصا وفي تسعينات القرن الماضي كانت لارتفاع ثلاثة من شيوخ الزيتونة وعلمائها الاعلام على قيد الحياة وفي اوج القدرة على العطاء وكان يمكن الاستفادة منهم بآية صيغة من الصيغ المرنة التي تتحقق منها الفائدة المرجوة ولكنها فرصة اضعنهاها و باللاسف الشديد.

*سرعان ما اخذت جامعة الزيتونة منعجاً جديداً تحت عنوان التحدي !!
وتطوّر المناهج وكان ذلك على حساب التكوين المتنين في مجال الاختصاص وهو
بالأساس العلوم الشرعية وتدخلت في ذلك اطراف عديدة وتكونت لجان تولى
رؤاستها غير أساتذة الزيتونة وأصدرت سلسلة كتب في مختلف الاختصاصات
الدينية أسننت مهمة اعدادها الى ... ورصدت لها اعتمادات طائلة ثم لم
تثبت هذه الكتب ان وقع الاستغناء عنها وكان ذلك في اطار تعصير الزيتونة
في الشكل وفي المضمون (الرياضة والسباحة والفن المتعالي من ارجاء معاهد
جامعة الزيتونة والمتسبب في الازعاج وعدم التركيز لدى تلاميذ صغار في مدرسة
ابتدائية تقع بجوار جامعة الزيتونة وقد اشتكتي من ذلك معلمون هذه المدرسة ...) كل ذلك في اطار التعصير الذي عبر عنه ادق تعبير وزير التعليم العالي في تلك

الفترة في مجلس النواب حين قال « ساعصر الزيتونة»!!

*دخلت جامعة الزيتونة (القائمون عليها في تلك الفترة) في مزایدات سياسية انعکست سلبا على المناهج التي نالت حظها من التعصیر بدعوى التطوير والنهوض بالتعليم الديني وهو ما سمح للبعض ان يشكك في شهاداتها ويدعو الى سحب الاعتراف بها كجامعة إسلامية وقد وقع التبیه الى ذلك والنصح لرئيس جامعة الزيتونة (والذی لم يعمر فيها طويلا) لمراجعة بعض ما الت الیه الأمور في الزيتونة وكان ذلك بحضور فضیلۃ الشیخ کمال الدین جعیط مفتی الجمهورية والسيد الهادی البکوش الوزیر الأول السابق رحمهما الله وذلك على هامش الحضور في ندوة علمية فقد إشتاط رئيس الجامعة غضبا وغادر الندوة ليجبر تقريرا الى رئيس الجمهورية حرره مع من يشارطه هذا التمشي (التعصیر بلا قيد ولا حد ولو على حساب الثوابت) ومن حسن الحظ ان ما نبه اليه رئيس الجامعة تضمنته مذكرة سبق ان وجهت الى رئيس الجمهورية الذي الحق يقال كان في اغلب الأحيان لاينساق وراء كل ما يرسل اليه من تقارير لا يأخذ مسلما مما هو بعيد في كثير من الأحيان كل البعد عن الموضوعية والمراعاة للمصلحة العامة.

*وفي اطار المزایدات التي عاشتها جامعة الزيتونة من تسییس مبالغ فيه وقع الاذن بتسجيل اطروحتات في مواضيع هي الى اقسام التاريخ في كليات الاداب والعلوم الإنسانية اقرب منها الى اختصاص العلوم الإسلامية الذي كادت تفتكه من الزيتونة اقسام الحضارة في الجامعات التونسية.

*وكاد بعض الطلبة من بلدان شقيقة ممن جاؤوا لاعداد اطروحتات جامعية في الزيتونة ان يسفروا قبل مناقشتهم لاطروحتهم بدعوى انتمائهم الى تيارات متطرفة كما لو ان الأجهزة المختصة في غفلة عن هذا الامر.

* وحدث ولا حرج عن عرقلة مناقشة عديد الاطروحات التي اودعها أصحابها وظلوا في انتظار مناقشتها عديد السنوات و كذلك الحيلولة دون الترقیات المشروعة للكثير من أساتذة الجامعة وغير ذلك وغير ذلك من الممارسات التي حادت بجامعة الزيتونة عن القيام بالدور الذي ينتظره منها الجميع وهو دور اشتدرت اليه الحاجة في العقود الماضية بسبب الغاء التعليم الزيتوني وتقلیصه في مجرد كلية لم تستطع ان تملأ الفراغ وتحقق لتونس ولشعبها التحسين الداخلي والاشعاع الخارجي.

كتبه محمد صلاح الدين المستاوي

البيان الختامي الملتقى المأمول لمنتدي تعزيز السلم أبوظبي 22-24 ربیع الثانی 1442 هـ / 09-07-2020 هـ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فانطلاقاً من قول الله عز وجل (ولكل وجهة هو مولىها فاستبقوا الخيرات) - سورة البقرة: 148) ومن حديث « أصحاب السفينة » النبوي الرامز إلى المسؤولية المشتركة من جمعتهم ووحدة الوجهة والمصير عن سلامة الخيارات وحكمة القرارات. واستجابة للتحديات الوجودية التي تواجه الإنسانية جموعاً، جراء وباء كوفيد 19 المستجد (كورونا) الذي غير برامج وخطط البشرية، واعاد ترتيب اولوياتها وسائل توجهاتها القيمية. واستشرافاً لامكانيات تطوير قيم كونية مشتركة اقرب إلى الانصاف والتضامن والاخوة الإنسانية، بروح جديدة هي روح « ركاب السفينة ». وتكاملاً بين الجهود الميدانية الرائدة لدولة الإمارات العربية المتحدة على مستوى العمل التطوعي الإنساني والتضامن المجتمعي والدولي اثناء الازمات عموماً وفي التصدي لهذا الوباء على المستويات الطبية والاقتصادية والانسانية بوجه خاص وبين مسؤولية التفكير والتنظير في ميالات الإنسان والعمران والأوطان في مرحلة ما بعد الوباء.

وعطفاً على المؤتمر الذي عقد في يوليو الماضي بالتعاون بين مجلس الإمارات للافتاء الشرعي برئاسة معالي العلامة عبد الله بن بيه ورابطة العالم الإسلامي تحت القيادة المهمة لمعالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى حول « فقه الطوارئ » والذي عالج الازمة من النواحي الفقهية.

انعقد بأبوظبي الملتقى السنوي السابع لـ « منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة » من 22 إلى 24 من ربیع الثانی سنة 1442 هـ الموافق لـ 07 إلى 09 ديسمبر 2020 م برعاية كريمة متواصلة من سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية والتعاون الدولي لدولة الإمارات العربية المتحدة - حفظه الله - وبتشريف ومتابعة من معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، وزير التسامح في دولة الإمارات العربية المتحدة، وبرئاسة معالي العلامة الشيخ عبد الله بن بيه رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة ورئيس مجلس الإمارات للافتاء الشرعي.

وقد حظي الملتقى بمتابعة الآلاف من المشاهدين لجلساته واعماله عبر منصته الالكترونية وموقع التواصل الاجتماعي، كما احتضن قرابة خمسين مشاركاً ما بين وزراء وممثلي منظمات أممية وسفراء وممثلي هيئات حكومية ومراكز

ومنظمات دولية ومفتين وعلماء وقادة وقيادات دينية ومفكرين وشخصيات اكاديمية ونواب برلمانيين واطباء ورياضيين وغيرهم.

وقد افتتح المؤتمر بكلمة لعالیي الشیخ نهیان بن مبارک آل نهیان وزیر التسامح والتعایش بدولۃ الامارات العربیة المتّحدة حيث بين عالیه في كلمته ملامح رؤیة دولۃ الامارات العربیة المتّحدة القائمة على قیم التسامح والتعایش والتکافل والعدل وبدل الخیر للجمیع دونما تمیز، مؤکداً أن هذه الرؤیة لم تزل توجه مسیرة البلد منذ تأسیسه.

کما شارک في الجلسة الافتتاحیة أصحاب العالیي الشیخ الدكتور محمد عبد الكریم العیسی امین عام رابطة العالم الاسلامی، والدكتور محمد مختار جمیعة ووزیر الاوقاف المصري والشیخ الدكتور نور الحق قادری ووزیر الشؤون الدينیة بپاکستان، وسعادة السفیر سام براون باک سفير الحریات الدينیة بوزارة الخارجية الامريكیة، ومعالیي السید میغل انخل موراتینوس الممثل السامي لتحالف الحضارات التابع للامم المتّحدة وصاحب الغبطۃ جستن ولبی رئیس اساقفة کاتربری وسعادة البروفیسورہ میلیسا روجرز المدیر السابق لمکتب الشرکات الدينیة في البيت الأبيض.

وسلم معالیي الشیخ نهیان بن مبارک آل نهیان وزیر التسامح بدولۃ الامارات العربیة المتّحدة ومعالیي الشیخ عبد الله بن بیة رئیس منتدى تعزیز السلام، «جائزة الإمام الحسن بن علی الدولیة للسلام» هذا العام لمکتب «فخر الوطن» تقديرًا ودعماً لجهود ابطال الخطوط الامامیة، الذين ضربوا اروع الامثلة في التضحیة والایثار والتقدیم في خدمة الوطن، والدفع عن حیاة أبنیائه والمقيمين فيه.

وقد تدارس المشاركون في المحاور الثمانیة لهذا الملتقی طبیعة وابعاد الازمة العالمية المرتقبة على وباء كوفید 19 المستجد ومساءلتها للتوجهات القيمية للانسانیة ودور قیم التراحم والتضامن والتعاون واشاعة السکینیة في مواجهة هذا الوضع والتحفیف من آثاره وتداعیاته مسلطین الضوء على النقلة النوعیة والقوة الاقترابیة التي یمثّلها حلف الفضول الجدید لكونه یؤسس لنموذج متوازن من التسامح والحریة المسؤولۃ والمواطنة الایجابیة والاقتاصاد المتضامن، بحیث يمكن أن يكون هو نموذج «العقد الاجتماعي الجدید» الذي تربوی اليه البشریة وتططلع اليه.

کما تطرق المشاركون إلى القضايا الفقهیة المستجدة التي اثارتها هذه الازمة على جميع الاصعدة من منظور «فقہ الطواریء» المركب من الدليل الشرعي والواقع بحثاً عن التيسیر والرخص الشرعیة لقیام موجبها، والى الحاجة لتعزیز دور الدولة الوطنية وتفویة التعاون الدولي لتجاوز مفارقات العولمة.

وتدارس المشاركون نماذج ایجابیة في التعامل مع الجائحة بروح التضامن والتعاون في مجالات مختلفة كتطوير اللقاح، وممارسة الشعائر الدينیة مع الحفاظ على سلامة المصلین، ومساعدة الاقتصادات الضعیفة.

وخصصت الجلسة العلمیة الاخیرة لآفاق عالم ما بعد كورونا وفرص میلاد انسان جدید وصنع عالم افضل یستلهم «روح رکاب السفینة» في وعيهم بالمسؤولیة المشتركة التي تمليها وحدة المسار والمصیر.



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وقد خالص المشاركون في الملتقى السابع لمنتدى تعزيز السلم بعد تبادل وجهات النظر في القضايا المدروسة، مستحضرين خصوصية المظرفية العالمية وافتتاح مجالات المجتمع الإنساني على كل الاحتمالات المرجوة والمحوفة، إلى ما يلي:

١- في طبيعة الأزمة المتولدة عن وباء كوفيد ١٩ المستجد:

- إن لهذه الازمة فرادتها في العصر الحديث، لما امتازت به من شمول آثارها وتعدد تجلياتها في مجالات ومناحي الحياة المختلفة، إنها ازمة في ضمنها أزمات. - تواشجت في هذه الازمة الآثار الصحبية بالاقتصادية والسياسية والنفسية والدينية والقيمية مرتبطة ببعضها البعض في شبكة من العلاقة في غاية الترسيب والتعقيد.

-إن مظاهر هذه الازمة على تعددتها يمكن النظر اليها بوصفها مجموعة من التجاذبات وجدت البشرية نفسها مطالبة بتدييرها على نحو استعجالي.
-ان من بين هذه التجاذبات التجاذب بين مقتضيات حفظ النفس البشرية ومتطلبات حفظ المال، وبين منطق البحث العلمي ومنطق السوق، وبين اليقين والشك، وبين العولمة والدولة الوطنية، وبين منطق الحريات ومنطق الواجب، وبين كلى النفس وكلى الدين.

ان الازمة وان كانت في مبادها ازمة صحية إلا انها سرعان ما استحال ازمة في القيم، ازمة من النوع الذي يختبر اخلاقنا وقيمنا وایماننا وقدرتنا على التضامن ليس على مستوى الافراد فقط وإنما على مستوى الدول أيضا.

2 - في دروس هذه الازمة وال عبر المستخلصة منها:

-علمتا هذه الازمة دروساً وشهدتا حائق منسية، فبانت هشاشة الجنس البشري وضعفه الملائم لكنينته المطبوع في فطرته، كما اظهرت محدودية العلم الإنساني وقصوره المعرفي في البايع على التواضع.

ان الازمات هي فرص للمراجعات وان هذه الجائحة التي اوقفت نبض الحياة السريع منحتنا في المقابل فرصة استثنائية لاستئناف التفكير ونعيد التقويم، نطمئن أن تولد عنها فرص كثيرة على مستويات عديدة للإصلاح والتصالح.

- ان هذه الازمة فرصة لبلورة رؤية جديدة تضبط التوازن بين الكليات بشكل يضمن منظومة اقتصادية أكثر عدالة ورحمة، منظومة تتخذ الانسان غاية تركز على تعمية الحياة وتستثمر في تعزيز السلام، عوضا عن اقتصادات الحروب

-ان هذه الازمة اكدت استحالة الاستغناء عن دور الدولة الوطنية في حفظ المصالح الحيوية للمجتمعات وخاصة في ظروف الازمات والكوارث الشاملة مما يستدعي تعزيز مكانتها وقد اتها في هذا المجال تشبّعاً واقتصادياً.

- إن هذه الأزمة مناسبة نادرة لنا نحن أبناء البشر لاكتشاف مكامن الخير المطحورة فيها وقيمتنا الضامرة، لاستعادة روح الإنسان المنطلق نحو المطلق، المتحرر من قيود ذاته، وحدود انانتيه، وللتخالص من المنطقة المعوج لصراع الخصوصيات.

-ان ميلاد انسان جديد ليس أمراً مستحيلاً ولا حلماً طوباويَا، إذا نحن استطعنا أن نستخلص الدروس ونستلهم العبر، ولكن هذا الميلاد لن يتحقق إلا بقدر ما تهياً أسبابه اليوم، فما المستقبل إلا ثمرة للحاضر.

-لقد كشفت الازمة الحالية للجميع قصور المقاربات الانانية التي لا تقيم وزنا للمشتركات، وعجزها عن مواجهة خطر لا يفتقّر بين شعب وشعب، أو يتکبّر ارضادون أخرى، بل يصيّب الجميع، على تنوع اعراقهم وتعدد نحّلهم واديانهم.

-اكتد هذه الازمة المصير المشترك بين البشر، فلم نكن في يوم من الايام أكثر ترابطاً ولا تواصلاً منا اليوم. لقد هدمت هذه الجائحة كل نظريات الفصل أو التمييز على اساس العرق أو اللغة أو التنمية، واثبتت اننا في نسق واحد متربّط بيئياً وصحياً واقتصادياً وثقافياً.

-ان هذا الترابط في الوضاع والمصائر لا يقتصر على بني الانسان بل يتعداهم إلى امم كثيرة من المخلوقات المتّوّعة تشارك البشر هذه العمورة في نظام كلي متزن إذا اختل جزء منه سرى الخلل إلى سائره.

-ان ذلك الترابط يجعلنا نحن ساكنة هذا الكوكب بمثابة «ركاب السفينة» الذين يشير إليهم الحديث النبوى. فالسفينة الواحدة ولو كانت ذات درجات متفاوتة إلا أنها في النهاية محكومة بمسار واحد ومحكوم عليها بمصير واحد يتوقف على كيفية ادارة دفتها ودرجة الحررص على سلامتها.

-ان الوعي بوحدة المسار والمصير ينبغي أن يثمر روحًا تبعث على الفعل، روحًا هي روح ركاب السفينة الذين يؤمنون بالمسؤولية المشتركة وبالحرية المسؤولة المرشدة وبواجب التضامن والتعاون ويتحذونها منها.

٣- في مبادئ وقيم «روح ركاب السفينة»

-ان المشاركين في هذا الملتقى يستشرفون امكانيات تطوير قيم كونية مشتركة اقرب إلى الانصاف والتضامن والاخوة الانسانية، بروح جديدة هي روح أصحاب السفينة.

-ان مادة هذه الروح هي الایمان بالمسؤولية المشتركة واما صورتها فهي التضامن والتعاون، وغايتها هي الحفاظ على الكليات، المعبّر عنها في الحديث بلازمها الشرعي وهي حدود الله.

-ان روح ركاب السفينة ترتب على القويّ مسؤولية تجاه الضعيف، وكذلك على الغني نحو الفقر، والعالم تجاه الجاهل، وعلى أهل القيم تجاه الآخرين، وهي مسؤولية تتّشأ من قيم الاخوة والكرامة الانسانية والامل في امكانية العيش المشترك.

-ينبغي أن يسود في هذه السفينة، مبدأ الحرية المسؤولية، التي لا تتعدى على حدود الآخرين، ولا تؤدي إلى الاخلال بالسلم أو التشغيب على النظام الكلي لركاب السفينة.

رابعاً- في المقتضيات العملية لـ«روح ركاب السفينة»:

-ان روح ركاب السفينة تدعونا إلى أن نوقف تلوّث البيئة ونكفّ عن الفساد في

البر والبحر، وتأمرنا بان نتوقف فورا عن الحروب.

- ان هذه الروح تستوجب منا السماحة والتراحم فتحبّ لغيرنا ما نحبّ لأنفسنا، مما يقتضي توزيع اللقاحات للجميع بلا احتكار أو استغلال، وان تنظر الدول الغنية الدول الفقيرة إلى حين ميسرة أو تضع عنها من ديونها التي تنوء بحملها.

- ان روح ركاب السفينة تهيب بنا أن نبتكر نموذجاً تممّوا يوفر الرفاه والازدهار والاستقرار للجميع، تكون فيه ثمرات العقول مبنوّلة لفائدة الجميع فلا يستاثر بها القوي أو يحتكرها الغني، عالماً تتنافس فيه الامم في الخير، تتسابق فيه الدول في تقديم الضيافة الابراهيمية للمهاجرين والنازحين.

- ان هذه الروح ترشدنا إلى بناء مجتمعات الطمأنينة، مجتمعات يسود فيها الامن، وتستحيل فيها روح التعصّب والتمذهب إلى روح التسامح والتحبّ، وتصان فيها لكل انسان كرامته الاصلية التي نالها البشر جمّعاً على اختلاف اجناسهم والوانهم ولغاتهم ومعتقداتهم بنفح الباري عزوجل من روحه في ابيهم آدم عليه السلام.

- بروح «ركاب السفينة» نسترشد في البحث عن المواجهات والملائمات والحلول التوافقية والتسويات الوسطية والتبازالت المتبادلة التي هي من صميم منطق العيش المشترك، وبهذه تقوم بالواسطة الازمة في عصرنا بين مبدأي الحرية والمسؤولية.

- تقتضي روح «ركاب السفينة» الدعوة إلى هبة ضمير عالمية تعيد لقيم التعاون والتضامن والتراحم فاعليتها، وتقديم مفهوماً جديداً للانسانية يتجاوز المفهوم المحايد لحقوق الانسان المتمثل في المساواة ليرتقي إلى ايجابية قيم الفضيلة التي تشعر الآخر بدفه المحبة والاخوة.

- ان من دواعي التفاؤل والامل في غد افضل كون هذه الازمة ادكت جذوة التضامن بين البشر فرأينا وسمعنا بالكثير من النماذج الملامهة لأفراد استطاعوا أن يتتجاوزوا ذواتهم ليبشروا الخير وينذلوا المحبة، ولدول تسامت عن حسابات السياسة والعلاقات الدولية لترقى في استراتيجياتها إلى سقف التعاطف والترابط الانساني.

- ان التضامن لكونه التزاماً بما فيه خير للآخرين مرتبة عليا ترقى بالانسان من الاعتراف إلى التعارف، ومن ضيق الذوات إلى فسحة المشترك، ومن تشرذم الاقليات والهويات الحرجة إلى وحدة الاكثرية الجامعة: مجتمع الانسانية الكبرى. ان روح «ركاب السفينة» تحفّزنا إلى الارقاء بالتضامن من الصيغ الجوفاء والممارسات الهاشميشية التي اخترلته فيها حضارة السوق، ليعيد الارتباط بقيم الرحمة والإيثار ومعانٍي التعاون والاحسان التي تسمو فوق الحقوق، بيد أنها ضرورية لها، فهي التي تسندها وتضمن لها الفاعلية والنجاعة، وهي الارضية المشتركة المتينة التي تقوم عليها.

- ان «روح ركاب السفينة» كانت حاضرة بقوة في رؤية الامارات واستراتيجياتها لمواجهة تداعيات هذه الازمة العالمية حيث اضطاعت بدور تضامني ريادي

استفادت منه أكثر من 70 دولة تضررت من هذا الوباء، فكانت أهانة الإنسان من حيث هو إنسان البوصلة والهدف الأسماى لذلكم الدور وتلكم الجهود.

- ان ميثاق حلف الفضول الذي أصدره « منتدى تعزيز السلم » وشركاؤه السنة الماضية (2019) في أبو ظبي يمثل التجسيد المفهومي والإجرائي الأمثل لروح « ركب السفينة »، وبذلك يمكن أن يشكل مرجعية قوية لهذه الانطلاقـة الجديدة بقيمـه الجامـعـة المشترـكة بين عـقـلـاء البـشـر على اختـلاف اجـنـاسـهـمـ وـمـعـقـدـاتـهـمـ وـمـشـارـبـهـمـ وـبـقـابـلـيـتـهـ لـلتـزـيلـ كـمـنـهـجـ عـمـلـيـ وـبـرـنـامـجـ تـطـيـقـيـ.

- ان القيم التي قام عليها ميثاق « حلف الفضول الجديد » ما تزال قادرة على أن ترشد العالم وتقترن الحلول، ولا سيما في هذه المرحلة العصيبة التي تمر بها الإنسانية جراء أزمة وباء كوفيد 19 المستجد.

- ان ميثاق « حلف الفضول الجديد » يمكن أن يكون هو نموذج العقد الاجتماعي الجديد الذي ترزو إليه البشرية وتتعلّم منه، فهو يجسد روح ركب السفينة في الإيمان بالمشتركات واعطاء الأولوية لكرامة الإنسانية والتطلع إلى ما يتجاوز الحقوق إلى الرحمة والتضامن والبذل.

- إنه بوسع البشرية أن تجعل من هذه الأزمة - كما فعلت بعد الحرب العالمية الثانية - مناسبة لانطلاقـة جديدة برؤـيـة جـديـدة لـلـعـالـمـ، وـفـرـصـةـ لـبـلـادـ اـنـسـانـ جـديـدـ، عـلـىـ اـسـاسـ قـيـمـ الـفـضـيـلـةـ، يـعـيـدـ بـنـاءـ ذاتـهـ وـعـلـاقـاتـهـ بـجـنـسـهـ وـبـالـأـمـمـ الـآخـرـىـ منـ الـمـخـلـوقـاتـ بـجـنـبـهـ.

- أن كل تأخر عن المبادرة إلى الفعل في الوقت المناسب يرهن مستقبل الإنسانية ويجعل الأجيال الآتية أسيرة سيرورات لن يكون بوسعها السيطرة عليها.

ثانياً: التوصيات:

-يشيد المشاركون في هذا المؤتمر بجهود منتدى تعزيز السلم في مد الجسور مع العقلاء والحكماء من كل الأديان والمذاهب والمشارب، ويشمنون مساعي القائمين عليه العلمية والعملية لتوحيد الجهود وتصحيح الوجهة على أرضية القيم الإنسانية المشتركة لما فيه خير الناس جميعاً.

كما أشادوا بما تضمنته «وثيقة مكة المكرمة» من مضمون سامي تهدف إلى بناء جسور المحبة والولاء الإنساني، ونشر ثقافة العيش والتسامح والتصدي لخطابات التحرير والعنف والكراهية.

-يشيد المؤتمر بتضحيات الطواقم الطبية وتقاناتها في إنقاذ الأرواح وعلاج مرضى هذا الوباء والعناية بهم وبجهود كل العاملين أفراداً ومؤسسات في مكافحة هذه الازفة.

ويوصي المشاركون بما يلي:

- العمل على صياغة مشروع اتفاقية تحت مسمى «الميثاق العالمي للتضامن الإنساني» مع العمل على عرضه على هيئة الأمم المتحدة لضمان تحقيق قيم عالم ما بعد كورونا ودرء لعودة المجتمع الإنساني إلى ما كان عليه قبل كوفيد 19

-دعوة المجتمع الدولي والدول الغنية إلى التضامن مع الدول الفقيرة واشراكها في

ثمرات البحوث العلمية، والى توزيع اللقاحات على الجميع بلا احتكار ولا استغلال.
تشجيع المبادرة والابتكار في مجال تكنولوجيا الصحة العامة والتطبيب في الدول الفقيرة والنامية التي اظهر بعضها مؤهلات غير متوقعة في تدارك نقص الوسائل والمعدات.

- انشاء صندوق دولي موحد للطوارئ والكوارث والازمات.
- عقد شراكات بين صناع القرار ورجال الفكر والدين لاشاعة خطاب السلم والمحبة والاخوة الانسانية والوقوف في وجه خطاب التطرف والتحريض.
- تسليق جهود القادة الدينيين والاعلاميين وذوي التأثير في الرأي العام واهل الاختصاص والاطباء وعلماء الاوبئة لمواجهة الاشاعات والافكار المغلوطة.
- تشجيع الهيئات الدينية الرسمية والجامع الفقهية على الاجتهد في القضايا المستجدة من اجل تحقيق المصالح المعترضة.
- تحث المجتمع المدني على مواصلة جهود التعبير عن الشكر والامتنان والوفاء لمن هم في الصدوف الامامية في مواجهة الوباء وابتکار المزيد من المواقف الاجتماعية والتعبيرات الرمزية المستوحاة من ثقافة المجتمع.
- أهمية مواصلة كافة الاجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية حتى تتجلى الغمة وتكتشف الازمة.

* يقدر المؤتمر الحاجة متعينة في الظرف الراهن إلى هبة وقفه انسانية يتجه فيها الضمير العالمي نحو مراعاة وحدة المصير الانساني في كثير من القضايا الكبرى، الامر الذي يتطلب تعاوننا وتضامنا وشاركا عاليا.

ويطيب للمشاركين في الملتقى السابع لـ « منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة » أن يعبروا عن فائق شكرهم وجزيل شائمهم لدولة الامارات العربية المتحدة على تيسيرها انعقاد هذا الملتقى في اوانه العتاد ويمستواه المعهود بافضل السبل المتاحة في هذه الظروف الاستثنائية، وان يرفعوا اسمى مشاعر الامتنان لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله وببارك في عمره، والى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولبي عهد أبو ظبي نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة رئيس المجلس التنفيذي لإمارة أبو ظبي، والى أصحاب السمو حكام الامارات، حفظهم الله جميعا.

ويضرع المشاركون في هذا الملتقى إلى العلي القدير أن يشمل بواسع رحمته وسابع كرمه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي كان ملادا في الازمات إلى القريب والبعيد، وان يديم على الامارات العربية المتحدة نعمة اليد العليا ويحفظها من شر كل وباء وبلاء وسائر بلدان العالمين.

جَمِيعَهُ أَصْدِفْهُ لَأَصْوَمَ رَمَضَانَ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ!

بقلم صالح الحاجة

قررت اليوم أن أعود إلى زوجتي وأقنعها بالي هي أحسن، وبأنها على خطأ، وبأن رمضان ليس صياما في النهار، وأكلا وشربا وتختمة وسهرها أمام التلفزيون في الليل، وبأن الشهر الكريم شهر عبادة، وسفر إلى الله وعودة إلى اليقين الذي ضاع من الناس في هذا العصر القلق، وبأن حياة رمضان ينبغي أن يكون قوامها التقشف والتتصوف، والزهد، والترفع عن الشهوات وفرار من اغراءات الدنيا،

أعددت نفسي لخطبة طويلة!، واخترت الكلمات، والامثال، والاستشهادات، واقوال الفلاسفة والحكماء وأهل الذكر، والبداية والنهاية، واكتشفت انتي صاحب حجة وقوة ومنطق أصابني الاعجاب والتهامه، وأعجبت بنفسي إعجابا جعلني أتخيل انتي أصبحت مثقفا كبيرا من كبار المثقفين، أخطب في الناس من خلال الراديو والتلفزيون وأقدم لهم النصائح في امور دينهم ودنياهם وأفتح لهم أبواب الحياة على مصراعيها وانهاتهم عن المنكر وأدعوهם إلى طريق الحق والفضيلة، ولكن سرعان ما تخليت عن الخيال، لأن الخيال لم يطأعني، ولأن صورة المثقف التي تخيلتها كلاسيكية ومتخلفة إلى حد كبير، فالمثقف في عصر الثقافة التي انتشرت في كل مكان ووصلت حتى إلى قبائل التخلف ليس خطيبا ولا واعظا، ولا يمكن أن يكون كذلك لأن الناس سوف لن يستمعوا اليه

مهما قال ومهما خطب، ومهما استعمل من قوة بلاغة، وسحر بيان! ومن الخيال رجعت إلى الواقع لأجد نفسي وقد انهكتي التعب، وعديني تشتبث الفكر، وحطمني الهم، فأسرعت الخطى نحو البيت لأنال قسطا من الراحة وأقوم بدور المثقف الكلاسيكي أمام زوجتي لعلها تقتتن بأأن ما طلبه من لحوم وبهض وتوابل وعجين وفواكه، إلى آخر تلك القائمة التي لو تقدمت بها إلى أكبر معازات العاصمة لتصوروا انتي تاجر انوي فتح محل صغير لبيع المواد الغذائية!،

لقد قررت أن ألقى خطبتي حول فوائد الصوم المطلق خلال أيام رمضان، والصوم النسبي خلال لياليه كلفني الأمر ما كلفني حتى ولو فتحت زوجتي صوت التلفزيون على آخره لتغطي على بصوتي الضعيف وتنافسني به، إنها

كثيرا ما تجأأ لهذه الطريقة كلما سمعت مني كلاما لا يرضيها،،!

سألقي خطبتي رغم كل شيء كما أعددتها ومن الفها إلى يائها، وإذا أفادتني مع زوجتي سأكتبها ثم أوزعها على أصدقائي ليقرؤوها هم أيضا على زوجاتهم، وبعد ذلك نفكر في تكوين جمعية نسميها جمعية اصدقاء صوم رمضان بالليل والنهار!،



Le soufisme comme remède En temps de Corona

La propagation fulgurante de l'épidémie Corona a bouleversé le monde entier. Qu'il soit croyant ou pas, l'homme s'est senti seul face à cet ennemi invisible, incontournable qui, jusque-là, a déjoué toutes les stratégies et mesures préventives. Cependant, l'homme a bien compris qu'il doit se concentrer sur l'essentiel, retrouver les éléments profonds qui font sa véritable humanité.

Ce parcours intellectuel menant à cette prise de conscience, somme toute spirituelle, est le parcours constant des Soufis musulmans, au fil de leur histoire. A leurs yeux, le soufisme se définit en effet comme le retour permanent à l'essentiel : Allah. Dans la praxis, le soufi doit opérer un tri ses priorités, examiner ses activités pour en choisir celles qui correspondent le plus à son idéal divin.

Encore une fois, le Tasawwuf, respectueux des lois de la Shari'a, ne peut être qu'un refuge, une source inépuisable de sens qui accompagne le Croyant et l'assiste en ces moments de crise, de solitude.

Lorsqu'il voit sa vulnérabilité absolue face à des êtres infinitésimaux, l'homme comprend qu'il destiné à atteindre une autre finalité: celle d'adorer Allah, de le prendre pour Wakil (Celui à qui on se remet et à qui on fait confiance absolue), d'utiliser le temps, une des grâces divines les plus importantes, à bon escient, en des activités bénéfiques à soi-même et aux autres.

En effet, cette crise invite l'homme moderne à dépasser plus de deux siècles d'ignorance et d'arrogance, l'ayant aveuglé ; elle démontre, éloquemment, les limites de ses connaissances alors qu'il les pensait sans limites. Le soufisme aide donc à concilier l'homme avec les sciences exactes et empiriques, tout en lui permettant de renouer avec cette Puissance suprême, Allah qui gère l'univers en vertu de Sa Sagesse, qui parfois, nous échappe. Plus que jamais, le soufisme s'avère comme une réponse à ses craintes et solitudes, à ses angoisses et crises ; c'est une temporalité sacrée qui absorbe nos âmes lorsque le corps tombe malade, lorsqu'il révèle sa fragilité, sa vérité.

Il devient cependant urgent que le discours soufi vécu au sein des confréries traditionnelles se développe davantage pour être à la hauteur de cette responsabilité historique : celle d'offrir à l'humanité entière le remède de la patience et de la guidance: celui de conduire les aspirants au choses essentielles de l'esprit, de leur fournir un discours subtile qui puisse répondre aux inquiétudes modernes, non un discours coupé de son temps, dépassé par les événements.

Aussi, cette épidémie semble être une grâce et non une épreuve, une Minha et non une Mihna, un autre bout de chemin vers Allah, le Sage, le Tout-Puissant.

Nejmeddine Al-Madani

Le 02/02/2021



Durant le ramadan, du jeûne de la journée à la rupture de la soirée, le croyant fait l’expérience tantôt de la restriction tantôt de la libéralité, tantôt de la crainte tantôt de l’espoir, tantôt de la patience tantôt de la gratitude. Dieu Se manifeste à lui par Ses Noms de Majesté et de Beauté, tantôt comme al-Çamad et al-Ghanî, l’Absolu, l’Indépendant qui Se Suffit à Lui-même, tantôt comme al-Razzâq et al-Karîm, le Pourvoyeur et le Généreux par excellence, qui donne aux créatures tous les moyens d’existence et de subsistance. Grâce au jeûne, le croyant prend conscience de sa dépendance totale envers Dieu. Les maîtres spirituels enseignent que la nature profonde et réelle du jeûne rituel transcende l’effort individuel, la volonté propre et la conscience du jeûneur. Le jeûne manifeste de façon évidente le caractère impersonnel et supra-humain de tout rite sacré. C’est à cette réalité invisible et secrète que fait allusion la tradition sainte (*hadîth qudsî*) dans laquelle Dieu affirme à travers la bouche du Prophète : « Chaque action du fils d’Adam lui appartient sauf le jeûne. Celui-ci M’appartient et c’est Moi qui en paie le prix. »⁴ L’homme pourra bénéficier profondément de l’alchimie divine du jeûne rituel en s’abstenant de lui-même, en faisant le sacrifice de son individualité, en éteignant son ego, en renonçant à la prétention d’une action autonome, en abandonnant les revendications subtiles d’un mérite personnel, dans cette œuvre qui n’appartient, en réalité, qu’à Dieu. C’est finalement dans l’effacement de soi et le silence intérieur qu’il pourra, si Dieu le veut, se montrer pleinement attentif et à l’écoute de Sa révélation, et contempler les manifestations de l’Essence, des Qualités et des Actes de Dieu.

4-Rapporté par Bukhari et Muslim.



Les vertus et bienfaits du jeûne de ramadan

Le jeûne offre de nombreux bienfaits et vertus. Le jeûne produit une purification, un réveil du cœur, un renouveau de la foi, une transformation profonde des caractères ; il aide le croyant à faire preuve de plus de cohérence et de conformité avec la volonté de Dieu, dans ses intentions, ses actions et ses paroles. La rupture du jeûne (iftâr) non plus n'est pas un acte anodin. Loin d'être un exécutoire à l'assouvissement des envies ou un retour aux habitudes profanes, elle prolonge en réalité l'intimité spirituelle du jeûne. Rompre le jeûne signifie aussi renouer avec la nature foncière de l'être (fitra), c'est un moment de réjouissance du cœur et de gratitude envers Dieu, autour d'un repas bénî qui se partage en famille, avec des amis, des voisins, musulmans ou non. Cette hospitalité est l'une des meilleures façons de diffuser la bénédiction, la joie profonde et la lumière intérieure que le jeûne apporte dans la vie du croyant. Il est important de souligner que la prescription du jeûne est inséparable de la Révélation du Coran. C'est au cours d'un mois de ramadan que le Coran fut révélé au Prophète, que la Parole divine descendit parmi les hommes. Pendant ce mois, après le jeûne de la journée, vient la récitation coranique au cours de prières nocturnes spéciales (al-tarâwîh) : en faisant le vide en lui-même, le musulman devient plus sensible à la Présence divine, il est apte à prendre part au « festin de Dieu », pour reprendre une expression prophétique, et à goûter la saveur du Coran, nourriture pour le cœur et lumière pour l'esprit. Le serviteur prépare et se prédispose à accueillir la Parole divine révélée, par le jeûne et le recueillement, comme une retraite intérieure, suivant en cela l'exemple du Prophète qui reçut la visite de l'Ange Jibril, Gabriel, apportant la Révélation du Coran dans la nuit du Destin (laylat al-qadr), traditionnellement célébrée la nuit du 26 au 27 du mois de ramadan.

Loin d'être une simple mortification et une contrainte, le jeûne est au contraire pour le croyant une occasion unique de libération et de pacification intérieures. Il exerce à la patience et à l'endurance. En brisant les « deux passions », comme dit l'imam al-Ghazali, liées aux plaisirs du ventre et de la chair, il permet de s'élever au-dessus de la nature grossière et animale, pour se rapprocher de la pureté et de la perfection des anges. Il éduque et purifie l'âme, adoucit le cœur, diminue l'influence des sens extérieurs et renforce la sensibilité spirituelle. Le jeûne met tout particulièrement en relief la relation directe du pratiquant avec Dieu.



Le jeûne obligatoire est prescrit pour tout le mois lunaire de ramadan, neuvième mois du calendrier islamique². Ce dernier étant un calendrier lunaire, donc composé de 355 jours, et non de 365 comme le calendrier solaire, chaque mois dure vingt-neuf ou trente jours. C'est la vision de la nouvelle lune qui détermine le début et la fin d'un mois lunaire. Du fait qu'il repose sur un calendrier lunaire, le mois de ramadan se déplace de onze jours chaque année par rapport au calendrier solaire. La durée d'une journée de jeûne varie en fonction de la période et de la situation géographique. C'est ainsi que les musulmans qui vivent dans l'hémisphère nord, par exemple, ne jeûneront que huit ou neuf heures par jour en décembre, mais devront, en revanche, jeûner dix-sept ou dix-huit heures en juin. Les femmes indisposées ou enceintes, ceux qui sont malades, qui sont incapables, ou qui sont en voyage, ne sont pas obligés de faire le jeûne. Suivant les cas, ils ont la possibilité de rattraper les jours de jeûne manqués ou de les compenser en nourrissant des pauvres.

Si le jeûne exige une véritable ascèse de la part du jeûneur, il ne consiste pas simplement à se priver de nourriture, de boisson et de rapports intimes. La valeur et les fruits du jeûne sont à la mesure de l'intention, de la vigilance et de l'aspiration spirituelle. Le Prophète mettait ainsi en garde : « Certains ne retirent de leur jeûne que la faim et la soif ; certains ne retirent de leurs prières nocturnes que la fatigue. » La faim, la soif et la fatigue ne sont que des effets superficiels du jeûne, que l'on risque de ne pas pouvoir dépasser si l'on s'arrête aux apparences, si l'on reste concentré sur soi-même au lieu de se concentrer sur le Seigneur du jeûne, ou si l'on agit en contradiction avec la sagesse et la sacralité de ce rite unique en son genre. Les sages musulmans distinguent plusieurs niveaux de jeûne et d'abstention, en termes de profondeur, d'exigence et de bénéfices spirituels : le jeûne des aliments, le jeûne des facultés sensorielles, de la langue, des yeux, etc., et le jeûne du cœur.

L'imam Abu Hamid al-Ghazali distingue trois niveaux de jeûne rituel : le premier niveau correspond au jeûne pratiqué par le commun des croyants, qui s'abstiennent uniquement des aliments, boissons et rapports intimes ; le deuxième niveau correspond au jeûne de l'élite des croyants, laquelle ne se contente pas de l'abstention commune, mais veille également à s'abstenir des paroles fuites, de la médisance, des péchés et des actes répréhensibles ; le troisième niveau correspond au jeûne de l'élite de l'élite, celui des prophètes et des saints, qui intègrent les deux premiers niveaux de jeûne dans un travail intérieur, une concentration du cœur occupé au seul souvenir de Dieu .

2-Abd al-Wahhab al-Sha'rani, *Les secrets des cinq piliers de l'islam*, éditions i, Paris, 2019.

À l'instar de la prière rituelle, de l'aumône ou du pèlerinage, le musulman peut jeûner volontairement en dehors des temps prescrits (mais uniquement de l'aube au coucher du soleil). D'après le Prophète, certains moments sont plus propices. Par exemple, le lundi et le jeudi, les trois jours de pleine lune au milieu du mois, les dix premiers jours du mois du pèlerinage, etc.

3-Cf. Al-Ghazali, *Les secrets du jeûne en islam*, introduit, annoté et traduit par Maurice Gloton, Albouraq, 2001.



Introduction aux secrets du jeûne rituel **par Abd al-Wadoud Gouraud¹**

« Ô vous qui avez la foi, le jeûne vous est prescrit comme il a été prescrit aux communautés qui vous ont précédés, afin que vous vous prémunissiez. » (Coran, 2 : 183) Quatrième pilier de l'islam, le « jeûne » (çawm ou cîyâm) évoqué par la révélation signifie à la fois « s'abstenir », « se retenir », mais aussi « s'élever » (sous-entendu : au-dessus de la nature humaine ordinaire). Plusieurs enseignements peuvent être tirés de ce verset. D'abord, le jeûne a été prescrit aux communautés antérieures, en particulier aux juifs et aux chrétiens. La pratique du jeûne est universelle, même si chaque religion a ses règles et ses formes spécifiques. En même temps, on voit tout de suite l'intention et la finalité du jeûne en islam : c'est un acte de foi qui permet au musulman de progresser sur la voie de la « piété », de la « prémunition spirituelle » et de la « crainte révérencielle de Dieu ». Ce sont là autant de traductions possibles de cette qualité appelée taqwâ qui, comme l'a indiqué le Prophète (sallAllahu 'alayhi wa sallam), est avant tout une vertu du cœur. Son cousin et gendre 'Ali ibn Abi Talib (radîyAllahu 'anhû) en a donné une définition très belle qui englobe et résume ses multiples facettes intérieures et extérieures : « La taqwâ, c'est craindre la Majesté divine, agir conformément à la Révélation, se contenter de peu et se préparer pour le jour du grand départ. »

Le jeûne a été prescrit pour pratiquer cette vertu précieuse, à tous les niveaux, intérieurement et extérieurement, dans le cœur, les actes et les paroles. Mais la taqwâ n'est pas une fin en soi, c'est la clé de tout bien, la voie à suivre pour éduquer l'âme, éléver l'esprit au-dessus de soi-même, et bénéficier de la connaissance et du discernement que Dieu accorde : « Craignez Dieu et Dieu vous enseignera ! » (Coran, 2 : 282).

Le jeûne obligatoire

Le jeûne, selon la définition du droit musulman, consiste à s'abstenir de manger, de boire et d'avoir des rapports intimes, de l'aube au coucher du soleil, avec une intention volontaire et claire.



plutôt que jeter le trouble et de diviser la communauté nationale. Les caricatures ne sont qu'un aspect infiniment petit du problème qui est celui de la désignation de l'islam comme un problème et du musulman comme une menace. Appeler à discerner, à ne pas faire d'amalgame et ne pas stigmatiser n'est ni une coquetterie, ni une tactique.

C'est primordial pour isoler les radicaux et gagner l'appui des populations musulmanes. C'est la stratégie efficace. Il sera plus aisément convaincu que la liberté d'expression n'est pas l'anti-religion et le mépris des minorités.

L'islam authentique, du juste milieu, en son cœur la mystique du soufisme, résiste aux dévolements et représente la majorité des musulmans. Nous sommes loin de la fin de cet islam tolérant, paisible et populaire, malgré les avancées du rigorisme.

La religion ne peut être incriminée quand on l'utilise comme un masque. Elle ne peut être souillée. L'Émir Abdelkader l'Algérien, qui a inspiré Mandela, qui a fondé le droit humanitaire dans la fidélité aux préceptes du Prophète et sauvé des milliers de chrétiens à Damas en 1860, disait dans son ouvrage « Lettre aux Français » : « Le musulman est parfois une manifestation contre sa propre religion. »

Interconnaissance et coexistence

Les croyants éclairés savent que « Dieu est Miséricorde » et que le Prophète est envoyé comme miséricorde. Le Coran exige de respecter la liberté d'expression et le pluralisme. Le meilleur croyant, dit-il, est celui qui, pieux et compatissant, le plus utile à l'humanité. Le respect de la liberté est essentiel : « Nul contrainte en religion » (2-256) ; « Si ton Seigneur l'avait voulu, auraient cru tous ceux qui sont sur Terre sans exception. Est-ce donc toi qui pourrais contraindre les hommes jusqu'à ce qu'ils deviennent croyants ! » (10-99) ; « Dis : La vérité émane de votre Seigneur. Quiconque le veut, qu'il croie, quiconque le veut qu'il méroie. » (18-29) Il est possible d'être citoyen tolérant tout en pratiquant la religion islamique.

La tolérance est cardinale : « Dis : ô dénégateurs ! Je n'adore pas ce que vous adorez, vous n'adorez pas ce que j'adore (...). Vous avez votre religion et j'ai la mienne. » (109-1 /6). Il est demandé de bien agir : « Repousse la mauvaise action par ce qu'il y a de meilleur. Celui qu'une inimitié sépare de toi deviendra alors pour toi un ami chaleureux » (41, 34). Le respect de la diversité est central et fait partie du mystère du projet Divin : « Si Dieu l'avait voulu, il aurait fait des humains une seule communauté. » (11-18)

L'heure est au dialogue et à la pédagogie. Interconnaissance et coexistence : « Nous avons fait de vous des peuples et des tribus, pour que vous vous entre-connaissiez. Le plus noble d'entre vous, auprès de Dieu, est le plus pieux. » (49-13) Eduquer, expliquer la religion et la liberté est nécessaire, mais non pas suffisant. Il y a lieu d'assurer la justice, l'équité et l'égalité dignité, afin que la paix advienne. C'est un enjeu civilisationnel.



Les défenseurs intransigeants de l'expression qui provoque ne semblent pas mesurer les conséquences de leurs actes dans le cadre de la mondialisation. Alors que l'histoire mondiale montre que l'ethnocentrisme et la loi du plus fort sont contre-productifs et néfastes, l'extrémisme, des uns et des autres, veut imposer sa conception particulière du sacré.

Dans les pays hyper-sécularisés, les religions sont perçues comme une borne contre les libertés. Cela peut arriver, mais ce n'est ni systématique ni intrinsèque. Suite aux actes de violence commis au nom de la religion, certains appellent à la résistance pour défendre disent-ils la liberté d'expression et les valeurs humanistes. Face à un problème réel, celui de l'extrémisme violent, le diagnostic est erroné. Le musulman est autant attaché à la liberté d'expression et à l'humanisme que quiconque.

Que le veuillent ou non certains, le fait religieux et l'attachement à l'éthique font partie de l'humanité et des cultures du monde. La religion n'est pas une maladie infantile de l'humanité. La reliogiophobie et l'islamophobie sont une dérive aussi grave que le fanatisme religieux. En cherchant à rendre neutre l'espace public, livré par contre à la marchandisation, ils portent atteinte à la paix, à la laïcité, à la dignité humaine. C'est une forme de nihilisme.

Répondre par la maîtrise de soi et le bon comportement

Les musulmans condamnent l'atteinte à la liberté d'autrui, tout en critiquant les discours racistes et les expressions outrageantes, considérées comme blessantes et offensantes, gratuitement méchantes, vulgaires. D'autres musulmans affirment qu'il faut les ignorer et rappellent en particulier que le Prophète est inatteignable, au-dessus de tout. Le bon comportement pour défendre le Prophète est celui de la miséricorde et de la patience.

Il est important de souligner que le terme de « blasphème » n'existe pas en langue arabe, ni dans le Coran. Ce dernier demande de ne pas insulter : « n'injurie pas ceux qui ne sont pas le Divin et auxquels ils adressent leurs prières, de crainte qu'en retour ils n'insultent Dieu par vengeance et pure ignorance » (6 - 108) L'insulte, (shatm) et l'injure (sabbi) sont prohibés.

Dieu encourage les musulmans à ignorer les polémistes et à faire preuve d'intelligence et de retenue : « Lorsque vous entendez que l'on renie les versets de Dieu et que l'on s'en raille, ne vous asseyez point avec ceux-là jusqu'à ce qu'ils entreprennent une autre conversation. Sinon, vous serez comme eux. » (4-140) Le Prophète disait que la punition de ceux qui injurient Dieu et ses symboles était inutile. Le bon musulman sait qu'il ne faut pas accorder d'attention aux injures et confusions proférées par des médias ou des polémistes politiciens ou intellectuels, mais il est choqué d'entendre des propos maladroits à des fins électorales de responsables politiques censés rassembler et protéger les minorités,



Islam et liberté d'expression

Par Mustapha Cherif

L'islam est venu libérer l'humanité, notamment en refusant toutes les idoles et oppressions. Il est clair : la liberté est fondamentale et il n'y a pas de liberté sans loi, sans éthique. Les libertés de conscience, de pensée, d'expression, deviennent fortes lorsqu'elles tiennent compte de la dignité humaine et des finalités.

Est libre celui qui obéit volontairement à la loi. Il ne s'agit pas d'amoindrir ce droit, parce que certains sont choqués, ni d'introduire une forme d'ordre moral ou d'ordre religieux, mais d'appliquer la Loi, qui implique des droits et des devoirs. Être humain, citoyen, militant de la liberté signifie aussi s'ouvrir, écouter, partager.

L'humour, la satire, la moquerie, la critique, et nommer les choses, n'interdisent pas d'accepter la discussion et de respecter la loi. Des limites sont énoncées par elle, interdisant d'injurier ou d'inciter à la haine. De plus, la liberté d'expression doit être appliquée pour tous. Car la critique des discours de l'amalgame que subissent les musulmans est comme refusée par certains.

Une liberté d'expression sélective, à double vitesse, est contreproductive et dangereuse. Elle produit le ressentiment. La société doit respecter ses minorités, en conséquence, elle devrait leur permettre l'accès à des canaux d'expression démocratique, qui diminueront l'impact désastreux des réseaux sociaux instrumentalisés et des prêches de radicaux.

L'insulte, la vulgarité obscène, l'huile sur le feu, tout comme l'idéologie « fondamentaliste », perturbent l'espace de respect et de compréhension mutuelle. Dénoncer la stigmatisation ce n'est pas vouloir imposer une loi religieuse, mais la loi profane du peuple souverain.

Principes universels

L'islam, pour l'essentiel, dit la même chose que les lois civiles et la philosophie sur les libertés fondamentales. Il ne faut pas se méprendre. L'illettrisme et l'inculture de nombre de populations à travers le monde sont un problème socio-politique et non point religieux.

La pédagogie n'est pas démagogie, ni agressivité, mais intelligence et bonté. Elle s'appuie sur la modération et des médiations. Elle s'adapte à la psychologie des publics pour donner à penser, cultiver et rendre meilleur. Vouloir imposer par la force et le militantisme idéologique une conception particulière de la liberté et refuser le débat est voué à l'échec.



JAWHAR EL ISLAM
Revue culturelle islamique - Tunisie

